و انكسر جناح اليمامة

رواية

خالد العتيبي

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

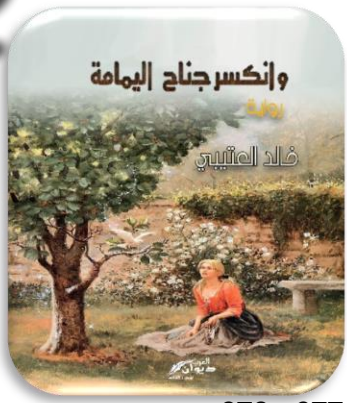

اسم العمل : و انكسر جناح اليمامة

اسم المؤلف : خالد سعد العتيبي

الجنسية : السعودية

التصنيف الأدبي : رواية

الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6707 - 19 – 1

رقم الإيداع : 14884 / 2019

تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

الإهداءُ

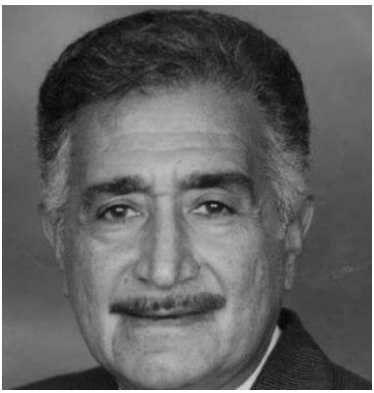

أهدي أول رواية أكتبها للفنان والمخرج القدير الأستاذ أحمد الحريري.

ولا أنسى تشجيعه لي خوض هذه التجربة والاستمرار في كتابتها .

خالد العتيبي

*****

كلمة المؤلف

عندما فكرت في كتابة روايتي الأولى
"وانكسر جناح اليمامة".
أردت أن تكون محور قضيتها المرأة ودورها في المجتمع، وهنا أطرح بعض التساؤلات التي أترك حرية الإجابة عليها للقارئ من الجنسين الرجل والمرأة .

1- هل هناك شيء اسمه المساواة بين المرأة والرجل ؟

2- هل المجتمع هو من يسلب المرأة حقوقها أم هي التي من تخلت عن تلك الحقوق أو تجهلها ؟

3- هل القانون استطاع أن ينصف المرأة ويستطيع حمايتها ؟

4- هل الرجل يعترف بثقافتها وتعليمها ويعتبرها طرفًا آخر مهمًا في عملية النهضة والتنمية ؟

5- هل المستوى المعيشي له دور في التأثير على المسار الاجتماعي للمرأة
من فكر وتعليم وزواج ..... الخ ؟

6- هل المرأة يمكنها النجاح وإثبات استقلاليتها بمفردها، أم أنها ستبقى مجرد سنيد لنجاح الرجل فقط ؟

المؤلف

*****

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رواية " و انكسر جناح اليمامة " للكاتب " خالد العتيبي "

الكتاب يتكون من رواية اجتماعية تناول فيها الكاتب ما يدور من أحداث لبطلة روايته " وفاء " من جراء الظلم الواقع عليها و على المرأة في المجتمع و ما تعانيه من هضم لحقوقها و إرغامها على القيام بأمور لا تلائمها كما حصل في الرواية بتزويجها بمن لا تريد بسبب فقر جدها و حاجته و من ثمَّ لم تجد بعد ذلك من ينصفها و يرد لها حقها .

لقد أظهر الكاتب في روايته عاطفة حب وفاء لجدها و جدتها و عاطفة الكره للظلم الذي حلّ بها من قبل زوجها و زوجته الأولى و كل ذلك بسبب الفقر و الحاجة التي أدت بها إلى أن يزوجها جدها لرجل متزوج و له بنات و يطمع أن تنجب له وفاء ولدًا ذكرًا

و لكن الأحداث تسارعت و طلق الزوج زوجته وفاء لأن زوجته الأولى لا ترغب فيها و لأنها حامل بولد ذكر كما ذكرت ذلك لوفاء لتغيظها حيث أن وفاء فقدت جنينها إثر حادث سيارة، لذلك لم يعد الزوج بحاجة لها و بذلك فقدت الأمل بحياة مستقرة هادئة.

عادت وفاء إلى منزل جدها بعد أن طردها زوجها من المنزل و طلقها و هي بحالة يرثى لها و بحاجة لكل شيء و الأهم من كل ذلك هو طلبها أن ينصفها القانون و تأخذ حقها و يعود لها الأمن و الأمان الذي افتقدته منذ وفاة جدها ثم جدتها.

لقد عبر الكاتب عن كل ذلك بأسلوب متميز و حوار رائع لمسنا فيه مناصرته للعدل بالوقوف إلى جانب المرأة و المطالبة بإنصافها من خلال سرد مشوق جميل لا يخلو من الحزن و الألم و المرارة و الحسرة كما في :

"خرجتُ من بيته وأنا أشعر بالذل والانكسار وأحمل جراحي مع بعض كدمات على وجهي وأجزاء من جسدي من بعد الضربات التي تلقيتها منه".

و لم تجد "وفاء" إلا المستشفى لتلجأ إليه لأنه المكان الوحيد الذي تجد فيه الأمان كما في قول الكاتب:

"هموم أحملها بقلبي ودموع تملأ عيني لا أعرف أين أرحل ومن أين أبدأ طريقي ، لكنني اهتديت أخيرًا أن أذهب إلى المستشفى التي كنت بها كي أداوي جراحي وأطمئن على سلامة بقية جسدي من الإصابات والكسور"

و الحمد لله أنها وجدت من يناصرها أخيرًا فقد أظهر الكاتب تعاطف الدكتور معها حيث قدَّم شكوى ضد الزوج مع إبراز الأدلة الواضحة على فعلته النكراء في ضربه لها حيث قال في الرواية :

"وأمر ضابط الشرطة بحبس أبي أحمد على ذمة القضية إلى أن تتم محاكمته حول ما نسب إليه من عدة اتهامات تم إثباتها في المحضر الطبي من قبل المختصين في المستشفى . طلب مني ضابط الشرطة توقيع محضر التحقيق والحضور عند الاستدعاء لإتمام بقية القضية".

ما أروع أسلوب الكاتب و هو يسبر غور نفسها لاستخراج مشاعر الألم و الحزن و اليأس عند عودتها لمنزل جدها و بيان الحالة السيئة التي وصلت لها كما في :

" ذهبت إلى بيت جدي وأنا أشعر بوحشة المكان وقد خيم عليه الهدوء والصمت القاتل من حولي حتى لا أكاد أسمع غير صوت خطوات أقدامي وأنا أتجول بين غرفه الفارغة، وأشعر بأنني في حاجة ماسة جدًا للحديث مع جدي و بحاجة إلى أن يكون بجانبي خصوصًا أنني أنتظر قضية سوف تكون حاسمة بيني و بين أبي أحمد في الأيام القادمة ، ولا أدري كيف ستكون نهايتها، وكيف ستكون حياتي من بعد هذه القضية".

يا لروعة النهاية التي اختارها الكاتب للرواية بأنها كانت نهاية مفتوحة لم يحدد فيه اتجاه وفاء و مصيرها بل جعل من خيال القارئ انطلاقة لها ليرسم لها ما يشاء و ما يحلو له و لكنه في نفس الوقت أراح نفسية القارئ بأن وضع للظلم حدًا و ذلك بالادعاء على الزوج و حبسه على ما فعلت يداهُ .

استخدم الكاتب في روايته ألفاظًا جزلة ذات معانٍ هادفة عميقة وظفها بروعة و مهارة و براعة لتخدم الهدف الذي صيغت من أجله و قد أبدع في تصوير الأماكن و الأحداث خير تصوير و عبر عنه بصدق و أمانة.

طرح الكاتب قضية اجتماعية واقعية و حاول علاجها و حلها عن طريق القرّاء لأنهم يمثلون المجتمع و كي يرتدع من كان بينهم من هو ظالم للمرأة بسلب حق من حقوقها سواء كانت أمًا أو أختًا أو بنتًا أو زوجة....

و يطالب بأن يأتي الحل و العلاج بتطبيق القانون حسب الشريعة الإسلامية دون تحكّم الأقارب من الذكور بما يخصهم من الإناث.

أسند الكاتب لأشخاص الرواية أدوارًا مناسبة لكل منهم و قد برع في إظهار الحبكة و الزمان و المكان و تسلسل الأحداث ثم قدم الحل و العلاج بكل روعة و إبداع بأسلوب متميز جميل .

لله درك أستاذ خالد العتيبي على ما طرحت و ما أبدعت في هذه الرواية الهادفة الراقية

أتمنى لك مزيدًا من التألق و التميز و الإبداع إن شاء الله

الأديبة الناقدة الأستاذة

نجاح العالم السرطاوي

****

على ذلك التل البعيد وفوق قمته بيت صغير، يفصل ما بين التل وبقية بيوت القرية وادٍ كبير ، وعلى أطراف الوادي بعض من الحقول والأشجار، في هذا البيت الصغير عشت هنا ما بين جدي وجدتي اللذين تكفلا بتربيتي بعد رحيل أمي وأنا في عامي الأول هذا ما ذكره لي جدي وجدتي، وعند سؤالي لهما عن أبي وما هو مصيره بعد ذلك فقالا لي بأنه انفصل عن أمي ورحل عنها قبل ولادتي بستة أشهر ، وقيل بأنه تزوج بامرأة أخرى وأنجب منها مولودًا ذكرًا لكنه فارق الحياة بعد معاناة مع المرض. فسألتهما عن زوجة أبي وابنها وأين هما الآن؟ فقالا لي: بأنها ذهبت به بعد رحيل والدك إلى جهة لا نعلمها ولم نسمع بعدها عنهم شيئًا. فقلت لجدتي: أخبريني من اختار لي اسم وفاء فقالت: إنها والدتك يرحمها الله فترقرق الدمع بعينيّ. فقلت لجدي وجدتي: أنتما والدي و والدتي اللذان أعرفهما حيث أنني لم أرَ أبي و أمي أبدًا.

فقال لي جدي بنظرة فيها الشفقة والحنان: نحن فعلاً والداك وأنت ابنتنا و قد سهرنا على تربيتك حتى سن العاشرة التي أنت فيها الآن .

كنت أذهب لمدرستي مبكرة إلى الجانب الآخر من الوادي وألتقي ببعض صديقاتي من القرية وأنا سعيدة جدًا بوقتي معهن وسعيدة أيضاً بمدرستي .

وعندما أعود إلى بيتنا الصغير أجد جدي في انتظاري على الجانب الآخر من الوادي ليأخذني معه بعد عودته من مزرعته الصغيرة التي كان يمضي وقته بها في زراعة القمح وبعض الفواكه التي يختار من ثمارها الناضجة ويجمعها معه في سلة بيده، وعندما نعود نجد جدتي قد أحضرت لنا الطعام و في انتظار قدومنا وهكذا عشت معهما أجمل أيام حياتي برغم كبر سنهما وبساطة معيشتهما لكنني كنت سعيدة بهما وبحبهما لي وخوفهما الشديد عليّ.

****

ومـرت السـنون وبلغـت الرابعـة عشـــرة مـن عمـــري .
برغم سعادتي بتقدمي في العمر من أجل تحقيـق حلـمي في إتمام دراستي لكنني كنت أحمل شيئًا من الحـزن بصدري عندما أرى جدي وجدتي قد تقدم العمـر بهمـا وبـدأ كل منهما يفقد طاقته وقدرته الصحية التي بدأت تتناقص مع السنين .

في أحد الأيام زارنا رجل غريب لا أعرفه وسأل عن جدي فقلت له: غير موجود ولا أعرف متى سيعود. لكنـه أخـذ فترة قصيرة وهو صامت وعيناه تتنقلان بسـرعة عجيبـة نحوي ينظر إلى وجهي إلى شعري إلى جسـمي إلى أقـدامي .
ثم قال: أخبريه بأن أبا أحمـد سـيأتي غـدًا لزيارتـه وقـت المساء .

ثم انصرف بطريقـة تعجبـت لهـا وكأنـه لايريـد الذهـاب و أقدامه تبتعد عن باب البيت ببطء حتى اخـتفى خلـف الأشجار التي كانت بجـانب بيتنا.

أغلقت الباب وأنا أتساءل في نفسي: ترى من هـذا الرجـل الذي أول مرة أراه يطرق باب بيتنا ولم أشـاهده مـن قبـل ذلك ؟

أخذت جدتي تسـألني عـن الشـخص الذي عنـد البـاب .

فقلت بأنه رجل يريد مقابلة جدي . فقالت: ما اسـمه يـا وفاء ؟

فقلت : يقول بأنه أبو أحمد

قالت: كثير من هم في القرية يحملون هذا اللقب عنـدما يأتي جدك يمكنه أن يتعرف عليه .

وعندما أتى جدي أخبرته عن ذلك الرجل .

فقال : إن هناك أكثر من شخص أعرفه يقال له: أبو أحمد .

فقلت : ألم تعرفه يا جدي ؟

قال : لا يا ابنتي

فقلت : إنـه سـيأتي إليـك غـــدًا وقـت المسـاء لزيارتـك وستعرف من هو .

قال : بإذن الله تعالى يا ابنتي

أتت جدتي وهي تحمل بعض الطعام ليأكله جدي .
فقال : ألا تشاركينني في هذا الطعام يا وفاء .
فقلت: لا.... أريد أن أذاكر بعض الدروس في غرفتي .
فقال جدي: كما تشائين يا ابنتي

....

ذهبت إلى غرفتي وأنا محتارة في هذا الرجل الغريب ونظراته الحادة ذات البريق العجيب وهي لاتزال في مخيلتي، وهو يحدق بي حتى ذهب بعيدًا عني .
بداخلي خوف وتوتر لا أعرف له سببًا، حاولت قراءة بعض الكتب المقررة يوم غد بالمدرسة، لكنني كنت شاردة الذهن وفاقدة للتركيز أثناء القراءة .
تمددت فوق سريري وأنا أنظر إلى سقف غرفتي و أرى صورة ذلك الرجل الذي رأيته عند الباب وأشعر بخوف منه دون سبب، لكنه شعور يسكنني لم أعرفه من قبل ذلك .

لم أشعر بالوقت الذي أمضيته في التفكير بتلك الليلة ومتى أغمضت عيني لكنني أحسست بيد جدتي وهي تقول : ابنتي وفاء استيقظي لم يتبقّ من الوقت غير القليل لذهابك إلى المدرسة .

استيقظت من سريري وأنا أشعر بخمول وكسل لم أعتدْهُ قبل هذا اليوم ، وعندي رغبة أقاومها داخلي بعدم ذهابي إلى المدرسة ولا أرغب في رؤية أحد من صديقاتي .

لكنني قاومت هذه الهواجس التي تحاول أن تثنيني عن نشاطي المعتاد كل صباح عند استيقاظي من النوم . غسلت وجهي بالماء وارتديت ملابسي بسرعة وحملت حقيبتي المدرسية لأنصرف لمدرستي . وأنا أسمع صوت جدتي تقول لي: لقد نسيتِ الإفطار يا وفاء..

لقد نسيتِ مصروفك لهذا اليوم يا ابنتي، لكنني تعمدت أن أظهر بأنني لم أسمع شيئًا وخرجت من الباب وأنا أستنشق الهواء بعمق في رئتي وأشعر كأنني أستنشق الهواء

الذي في القرية كلها والتقيت ببعض صديقاتي كالمعتاد كل صباح للذهاب إلى المدرسة في هذا اليوم.

عند عودتي من المدرسة وجدت جدي على الجانب الآخر من الوادي وبيده تلك السلة التي اعتدت أن أراها بيده مليئة بالفاكهة اللذيذة .

وعندما رآني ابتسم وقال لي: أهلاً بابنتي الجميلة .

أخبريني ماذا فعلت في المدرسة هذا اليوم ؟

فقلت : أبدًا ياجدي إنه نفس الروتين ونفس النظام .

فقال لي: إنها ثلاثة أشهر فقط وينتهي هذا الموسم الدراسي وترتاحين من عناء هذا المشوار كل يوم .

****

لا أعرف لماذا عندما التقيت جدي حين عودتي من المدرسة وقت الظهيرة أحسست بأنني نسيت كل شيء عن الليلة الماضية، وشعوري وتكاسلي هذا الصباح أشعر بسعادة وفرح يغمرانني فأسابق الريح وأقدام جدي للوصول إلى البيت سريعًا لتناول طعام الغداء من صنع يدي جدتي دخلت البيت مسرعة و أنا أصرخ: جدتي جدتي ... ورميت بالحقيبة المدرسية من يدي على الأرض وأنا أحتضن جدتي: كيف حالك جدتي ؟ ماذا لديك من طعام لأتناوله فأنا جائعة جداً جداً ؟

فقالت لي وهي تعاتبني وتبتسم: من يراك الآن سعيدة وتقتحمين باب البيت بهذه السرعة لايصدق بأنك التي كنت في الصباح لا تريدين الكلام ولم تتناولي الإفطار كعادتك كل يوم .

فقلت: أبدًا ياجدتي إنني كنت قلقة جدًا لأنني لم أحفظ النشيد الصباحي الذي يفترض بأنني سألقيه أمام المدرسة كلها من طلاب ومعلمين .

فقالت: وماذا حدث بعد ذلك يا ابنتي ؟

فقلت: أبـدًا تقـدمت إحـدى صـديقاتي وألقـت النشـيد بالنيابة عـني لأنها كانت تحفظه فأنقذت الموقف ولهذا أنا سعيدة الآن .

فقالت: الحمد لله يا ابنتي ولكن عليك الانتباه في المرات القادمـة بعـدم الإهمـال وأن لا تضـعي نفسـك في هـذه المواقف الصعبة التي تسبب لك هذا الإحراج مع الآخرين وخصوصًا المدرسة .

فقلت: سمعًا وطاعة يا جدتي....

قلتها وأنا ألوم نفسي لأنني أول مرة أكذب فيهـا وأخـترع كذبة ذلـك النشـيد الصـباحي الذي لـم أحفظـه، لكنـني فعلت ذلك حرصًا مني عليهما بعدم القلق عليّ .

لم أحاول التحدث معهما بما حدث لي مـن أشـياء كانـت تضايقني ليلة البارحة ولم أنم من شـدة القلق .

تناولت طعام الغداء وذهبت إلى غرفتي لأرتاح من عنـاء وتعب هذا اليوم .

لم أشعر بأن النوم قد داهمني وأخذت هذا الوقت الطويل وأنا نائمة على السرير بغرفتي، حتى اخترق سمعي صوت باب البيت تطرقه يد بشكل مخيف لدرجة أنني فزعت من نومي وأخذت أنظر إلى الأشياء من حولي وإلى جدران غرفتي فانتبهت أنني قد أمضيت وقتًا وأنا نائمة بعد تناولي طعام الغداء مع جدي وجدتي فذهبت أنظر من شباك غرفتي فلم أر نور الشمس لأنها قد غربت وبدأت الساعات الأولى من المساء.

سمعت صوت جدي وكأنه يتحدث مع شخص آخر وهما يتبادلان الحديث

فقلت : من هذا الذي يتحدث مع جدي ، ومن الذي يزورنا في هذا الوقت من المساء لكنني تذكرت موعد ذلك الرجل الذي قال: لي بأنه أبو أحمد وسوف يزورنا وقت المساء . فقلت: لعله هو ذلك الرجل .

فقررت أن أنتظر في غرفتي حتى يغادر ذلك الزائر ، لألتقي بجدي وجدتي وأتحدث معهما.

فجأة لم أعد أسمع صوتًا لجدي مع ذلك الزائر الغريب وفتحت باب غرفتي بكل هدوء ونظرت من جانب الباب فرأيت جدي جالسًا بجانب جدتي يتحدثان بصوت خافت لا أستطيع سماعه، فخرجت من غرفتي أسير نحوهما لكن عندما رآني جدي أشار بيده لجدتي بالصمت عن الكلام، فجلست بجانب جدي ونظرت إليه فوجدت ملامحه حزينة جدًا وكذلك وجه جدتي .

فتظاهرت بأنني لم ألاحظ شيئًا من ذلك .

- مساء الخير يا جدي

- مساء الخير يا ابنتي

- مساء الخير يا جدتي

- مساء الخير يا ابنتي

- ماذا تريدان أن تأكلا هذا اليوم على العشاء ؟

- لقد سألتني جدتك قبل ذلك فقلت لها: لا أريد أي شيء هذه الليلة.

- يا ابنتي جدك تناول فنجان القهوة مع ضيف زارنا قبل قليل ولذلك لا يريد الطعام.

- لكنني أنا من سيقوم بتجهيز الطعام هذه الليلة لكما ولذلك لن يستطيع جدي أن يقاوم ذلك وسيوافق فورًا

- لا يا ابنتي أشكرك لكنني أريد الذهاب لغرفتي لأرتاح من تعب العمل طوال اليوم

فذهب إلى غرفته وأغلق عليه بابها .

من دون أن يقول لي تصبحين على خير يا ابنتي ، وهذه هي المرة الأولى التي ينساها منذ أن عرفته.

ونظرت إلى جدتي فقلت لها:

- من هذا الزائر الذي كان مع جدي منذ قليل ؟

- أبو أحمد يا وفاء

- إنه هو الشخص الذي رأيته عند الباب وسألني عن جدي قبل ذلك

- نعم إنه هو

- فهل عرف جدي هذا الرجل

- نعم لقد عرفه لقد قلت لك بأنه أبو أحمد

- ومن يكون أبو أحمد هذا ؟

- إنه صديق قديم لجدك ، تصبحين على خير يا ابنتي ، أشعر بأنني متعبة جدًا وأحتاج للراحة والنوم

فذهبت إلى غرفتهما وأغلقت الباب.

أحسست بأن هناك شيئًا ما حدث لهما ولم أستطع معرفته منهما .

لم يعد عندي رغبة في تناول شيء من الطعام بعد أن رأيت حالهما وهروبهما مني عند الكلام .

شربت كوبًا من الماء وذهبت إلى غرفتي وأنا في حيرة من أمري؛ ما هو الشيء الذي يشغل تفكيرهما ؟ .

ولماذا عندما أتيت إليهما التزما الصمت وتوقفا عن الكلام

أيمكن هذا الزائر الغريب أن يكون ضايق جدي بأمر ما ..

أخذت الأفكار والاحتمالات تدور برأسي وانتابني شيء من القلق والخوف على حال جدي.

إن ذهابه لغرفته هروب مني وخوف من سؤالي له عن ذلك الرجل الذي يدعى أبوأحمد . لم أر جدي بهذه الحالة النفسية السيئة قبل ذلك .

****

استيقظت في اليوم التالي مبكرةً للذهاب لمدرستي ورأيت جدتي مازالت تعد طعام الإفطار. و أيضًا هذه المرة الأولى التي أرى فيها جدتي تخالف موعدها الصباحي في إعداد الطعام . لأنني قبل ذلك اعتدت أن أجد الطعام جاهزًا وجدتي تنتظر قدومي إليها لأتناوله بسرعة مني قبل الذهاب للمدرسة . بدأت أسئلة كثيرة تدور برأسي ماذا حدث وما سر زيارة ذلك الرجل التي غيرت من تصرفات جدي وجدتي .

بدأت أتردد في سؤال جدتي عن ذلك، فقلت لنفسي: ما أريد أن أعرفه الآن سيتضح لي بعد ذلك .

انشغلت بترتيب كتبي وارتداء ملابسي داخل غرفتي وخرجت منها لأجد جدتي تنتظرني فقلت لها :

- صباح الخير

- صباح الخير يا ابنتي

حاولت أن أوهمها بأنني أتناول بعضًا من الطعام الذي أمامي وأنا لا أريد شيئًا منه . ولا يشغل بالي وتفكيري

غير هذا الأمر الذي بدل أحوال بيتنا منذ قدوم هذا الزائر الذي اسمه أبو أحمد .

ذهبت إلى المدرسة في ذلك اليوم وأنا أفكر في جدي وما هو الشيء الذي يحيره .

كالمعتاد عند عودتي من المدرسة، وجدت جدي في انتظاري بتلك السلة التي يحملها بيده وهي مليئة بالفواكه، وأنا أسير وأقترب منه لم أر في حياتي كلها منذ طفولتي هذا الحزن الذي رأيته في ملامحه و وجهه، وعيناه تنظران لي بألم وشفقة لكنها ثابتة نحوي لا تتحرك أبدًا .

عندما اقتربت منه ولم يعد بيني وبينه إلا عدة خطوات بسيطة جدًا سقط جدي على الأرض وسقطت السلة التي بيده وتناثرت جميع الفاكهة التي كانت بها في كل اتجاه .

وأخذت أجري نحوه وأصرخ جدي جدي .. جدي ...

لكنه كان جثة هامدة لا حراك له أبـدًا ، وصرخت صرخـة أظن بأن جميع من في القرية قد سمع صـداها لقـد مـات جدي مات جدي .

ولحسن الحظ أن الناس الذين قد عادوا من أعمالهم ومـن كان منهم معـي من طـلاب ومعلمـين في مدرسـتي كانـوا يسيرون بنفس الطريق التي كنـت أسـير فيهـا، فتجمعـوا حول جدي وقال أحدهم يجب نقله إلى المستشفى، وأنا في حالة صعبة جـدًا لا أصدق ما حدث ولا أشعر بشيء ممـا حولي أبـدًا . تم نقل جدي إلى المستشفى وأنا لا أعلـم مـا هو مصير جدي بعد ذلك وهل يمكنني أن أراه مرة أخرى أم سيكون له مصير آخر وهو الذي لا أتمنـاه أبـدًا أبـدًا. أدخل جدي بغرفة مليئة بالأطباء والممرضين وقد تجمعـوا حوله بشكل يثير الرعب والخوف بقلبي لكـن الشيء الذي يلازمـني ويـتردد بـداخلي هـو ابتهـالي ودعائي إلى الله أن يحفظ لي جدي فليس لي أحد سـواه، فهـو عالـمي وأرضي و وطني الذي أحتمي به .

حاولت الاقتراب منه لكن إحدى الممرضات التي كانت بجانبه منعتني من ذلك وأمرتني بالخروج وأن أغلق الباب من دوني، ولم أعد أعلم ماذا يمكنهم فعله معه وأنا التي أرى بأنه لاحياة فيه .

أخذت أستغفر ربي وأقول : يا الله أنت وحدك القادر على فعل كل شيء، وأنت العالم وحدك بأنني في حاجة لهذا الإنسان بجانبي، ولا حياة لي من غيره فاحفظه لي .

سمعت صوت جدتي وهي تصرخ بصوتها الحزين من آخر الممر الطويل الذي نقف به جميعًا أنا وبعض أهالي القرية الذين أتوا للاطمئنان عليه .

اقتربت جدتي مني وقالت: أين هو هل مازال بخير ؟.

وانهارت بالبكاء ولم أر جدتي بهذا الحزن والألم كما رأيتها في هذه اللحظة المؤلمة لنا جميعًا .

فقلت لها: تماسكي يا جدتي فلن ينفعنا هذا البكاء جميعًا .

فكل شيء بيد الله سبحانه

كنت أقول لها هذه الكلمات وأنا بداخلي الألم وأحتاج لمن يمنحني الصبر أيضًا .

وعندما سمعت جدتي مني هذه الكلمات انهارت بالبكاء أكثر وأكثر وهي تقول:أعتقد أنه مات لقد مات وتركني وحدي يا وفاء، فاحتضنتها وقلت لها إذا كان هناك شيء من هذا سيكون فلا تدعيني أخسركما الأثنين .. حاولي أن تتشجعي وتواجهي هذا الموقف بالصبر والإيمان ومازلنا ننتظر في هذا الممر أمام الباب المغلق وجدي خلف هذا الباب لا نعلم عنه شيئًا.

مضى من الوقت أكثر من ثلاث ساعات ونحن في حالة انتظار وترقب وننتظر أي أحد يفتح ذلك الباب المغلق ويخبرنا عن جدي .

إنها لحظات قاسية جدًا، فترة صمت تملأ المكان من حولي وأنا أنظر في وجوه من كانوا معي وقد خيم الحزن عليهم وكل واحد منهم يعيش هذه اللحظة مع نفسه ولا يشعر بوجود من يقف بجانبه .

بعد هذا الانتظار الطويل سمعت صوت الباب وهو يفتح من الداخل وقد خرج منه أحد الأطباء وهو يقول: الحمدلله لازال على قيد الحياة ولكنه سيبقى معنا لمدة لن نستطيع تحديدها الآن حسب الاستجابة منه لبعض الأدوية التي سيأخذها في هذه الفترة والتي سيكون فيها في غرفة العناية المركزة .

أخذت أبكي وأنا أسمع هذه الكلمات من الطبيب الذي مازال يقف ويستمع إلى الأسئلة التي تنهال عليه من جميع أهالي القرية الذين التفوا حوله.

فقال الطبيب: الآن تستطيعون الذهاب لمنازلكم لأنه لا داعي لبقائكم هنا، وسنطمئنكم عنه بعد ذلك إن شاء الله.

أحسست وأنا أغادر المكان وعيناي تحدق بالباب بأن روحي تنفصل عن جسدي وتتشبث بذلك الباب، ولا تريد الرحيل عنه وكأنني أصبحت جسدًا بلا روح

بداخله والحياة لم تعد تعنيني ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أبتعد فيها عن جدي.

عـدنا إلى البيـت، أنـا وجـدتي وكل واحـدة منـا لا تنطـق بكلمة.

ذهبت إلى غرفتي وأنا لا أصدق ما حدث وكيف سـيكون البيت من غير وجود جدي .

بقيت على هـذه الحالـة طـوال الليـل وأنـا أسـتعيد جميـع ذكرياتي بكل تفاصيلها وصورها مع هذا الرجل العظـيم الذي جعل مني كيانًا إنسانيًا اسمه وفاء .

أحسست بأن نور الصبح أخذ يتسلل من خلف نافـذتي .

وبعد ساعتين أتت جدتي وهي تقول لي:..

- لقد حان موعد ذهابك للمدرسة يا ابنتي

- لن أذهب أبـدًا للمدرسة يا جدتي

- ولكـن حالة جدك التي هو عليها الآن قد تأخـذ وقتًـا طويلاً ولا نعلم متى نهايتها

- أرجوك يا جدتي لم يعد أي شيء يهمني في هذه الحياة من بعد جدي

- لا تفكري يا ابنتي بهذه الطريقة التي سوف تدمر حياتك فأنت صغيرة والمستقبل لايزال أمامك ..

فقاطعتها وقلت لها:

- مستقبلي كله هو شفاء جدي وعودته لهذا البيت مرة أخرى ، ولكن دعينا من هذا الكلام لأنه قرار اتخذته مع نفسي وانتهى أمره بالنسبة لي، ولكن أريد أن أسألك ماذا حدث لجدي حتى تدهورت حالته إلى هذه النهاية التي نراها ؟

- يا ابنتي إنها إرادة الله التي أرادها.

- نعم إنها إرادة الله ولكن جدي تغيرت أحواله كلها من بعد زيارة ذلك الرجل الذي يقال له أبو أحمد وأنت تخفين عني شيئًا لا أعرفه.

- يا ابنتي أنتِ تفترضين أشياء لا وجود لها ولم تحدث أبدًا أبدًا ولكن حبك الشديد لجدك جعلك تعتقدين ذلك.

- لا يا جدتي أنا الآن في السادسة عشرة من عمري وأفهم الحياة أكثر وأعرف ما يدور حولي ولاتنظري لي على أنني مازلت تلك الطفلة الصغيرة التي لا تفكر في غير في طعامها ولعبها التي تلهو بها، أرجوك أرجوك يا جدتي إلى متى وأنا أعيش هكذا لا أعلم شيئاً يجب أن أعرف حقيقة ما يدور حولي لقد تعبت .. لقد تعبت

وأخذت أبكي وأصرخ بشكل هستيري وجدتي تحتضنني وتقول : ..

- كفى يا ابنتي ماتفعلينه بنفسك فأنا متعبة لأجلك وقلبي لا يحتمل كل هذا منكِ .. أرجوك أرجوك

- إذًا يجب أن أعرف منكِ الحقيقة كلها

- الحقيقة يا ابنتي أنا وجدك عشنا في حالة فقر شديد ويمضي علينا عدة أيام لا نتناول فيها غير بعض من

الخبز والماء وأحيانًا لا نجد ما نطعمه لوالدتك يرحمها الله عندما كانت طفلة صغيرة، ولا نملك غير هذا البيت المتواضع الذي استطاع جدك بناءه بعد جهد وتعب من بعض الأموال التي يحصل عليها مقابل عمله اليومي في مزرعة أبي أحمد، وبعد عدة سنوات من عمل جدك مع أبي أحمد طلب منه أن يعطيه أرضًا من بعض أراضيه التي يملكها ليزرعها ويستفيد بثمنها بجانب إشرافه على أعمال أبي أحمد الأخرى وهكذا بدأت حياتنا تتحسن عما كانت عليه، وتقدم أبوك لخطبة والدتك وبرغم فقرها لكنها كانت جميلة جدًا وهذا هو سبب زواج أبيك منها، فتزوجها ولكن بعد فترة من الزواج بدأت المشاكل التي كان والدك يحاول أن يختلقها للخلاص من والدتك بسبب فقرها، لأنه وجد امرأة أخرى ذات جاه ومال فتزوجها وكان نصيب والدتك من ذلك الطلاق، وأنت لاتزالين في أحشائها، وبعد زواج أبيك سمعنا بأنه أصبح لديه ولد من زوجته الأخرى ولكنه مات بعد زواجه بعامين ولم نعد

نسمع أي خبر عن زوجته وابنه بعد رحيلهم إلى مدينة أخرى، وبعد أن مضى على ولادتك العام الأول مرضت والدتك مرضًا شديدًا جدًا ورحلت عن هذه الحياة وبقيت أنا وجدك وأنتِ بيننا على هذا الحال الذي ترينه حتى يومنا هذا.

- هل يعني بأن المزرعة التي يمتلكها جدي الآن هي في الحقيقة ملك لأبي أحمد

- نعم يا ابنتي

- ولكنه أعطاها لجدي وانتهى الأمر

- لا يا ابنتي لم يكن هناك عقد بيع بينهما مجرد اتفاق بأن جدك يزرع الأرض ويستفيد منها لتحسين وضعه المالي فقط

- وماذا قال له هذا الرجل عندما كان مع جدي عند زيارته الأخيرة له ؟

- إلى هنا لا أستطيع الإجابة على سؤالك يا ابنتي لأنني لا أعلم شيئًا الله يعلم ما بينهما .

إلى هنا قررت أن أتوقف عن المزيد من الأسئلة لجدتي لأنني أحسست بأنني أرهقتها بكثرة الكلام وهي في حالة حزن على جدي الذي يرقد في المستشفى . وبداخل نفسي أشعر بأنها تعلم ذلك ولكنها لا تريد الحديث عن ذلك .

بعد صمت سألتني جدتي ..

- ماذا عن ذهابك إلى المدرسة ؟

- قلت لك يا جدتي لن أذهب لها بعد اليوم وجدي الآن في أمس الحاجة لي

- أنا موجودة معه يا وفاء وأنا المسؤولة عنه لأنني زوجته

- وأنت أيضًا يا جدتي في حاجة للرعاية مني الآن فأنا أراك متعبة جدًا وتحتاجين إلى الراحة والاسترخاء

- لا أعلم ماذا أقول لك يا وفاء ولكن ...

- ولكن لا تقولي شيئًا، أنا قررت أن أقوم برعاية جدي ورعايتك وأنا المسؤولة عن هذا البيت.

.....

في وقت الزيارة المحددة من قبل المستشفى ذهبنا لزيارة جدي ولمعرفة تفاصيل حالته من الطبيب المعالج له
لكن الممرضة التي كانت تجلس في مكتب بجانب باب الغرفة التي ينام بها جدي منعتنا من الدخول وقالت بأنها تعليمات الطبيب، وهو الآن موجود بعيادته بإمكانكما التحدث إليه.

اتجهنا أنا وجدتي لعيادة الطبيب وأنا بداخلي اضطراب وخوف من لقاء الطبيب أخشى أن أسمع شيئًا لا يرضيني عن حالة جدي .

عندما رآنا الطبيب ابتسم وهو يقول: ..

- كيف حالكما اليوم، الحمد لله كل شيء يسير على ما يرام.

أخذت أنظر إليه وأنا أشعر بأنه يحاول أن يهدئ من التوتر الذي رآه باديًا علينا ليقول لنا شيئًا أكبر. فصرخت في وجهه بصوت حاد و أنا أجهش بالبكاء ..

- لو سمحت قل ما عندك بسرعة ماذا حدث لجدي ؟

ابتسم وقال بهدوء ..

- إنه بخـــير ولكنه الآن يحتاج منكما معاملة أخرى تقاطعه جدتي مع آخر كلمة يقولها ..

- ما هي أيها الطبيب قلبـــي لا يحتمل هذا

- سأقول لكما ولكن بشرط أن تسـمعا التعليمـات الـتي سوف أقولها بكل دقة واهتمام ..

لقد تعرض لجلطة في القـلب، صـحيح أنهـا كانـت حـادة جـدًا لكن بفضل الله مرت بسلام وبقي على قيد الحيـاة، إنه الآن يفقد الحركة في الجانب الأيسر من جسمه متأثرًا بتلك الجلطة، ولكن الحمـد لله هنـاك حـالات تكـون أسوأ من ذلك وهناك ما تكون نهايتها الموت.

فأخذت أردد مع نفسي الحمد لله الحمـد لله والشـكر لله المهم بأن جدي بقي على قيد الحياة، فقلت للطبيب :..

- أكمل لو سمحت بقية التعليمات

- إنه يحتاج لبرنامج علاجي وبـعـض الأدوية التي سـوف يأخذها في مواعيدها بدقة بجـانب الراحة التامة والابتعاد

عن أي انفعالات أو ما يثير غضبه لأنني بعد ذلك لا أضمن ما سوف يحدث.

- لو سمحت هل نستطيع أن نراه الآن ؟

- نعم ولكن يجب أن تكونا في حالة هدوء وكأن ما تعرض له شيء عادي جدًا مثل أي مريض آخر.

اتجهنا إلى غرفة جدي وعند دخولي من الباب تعمدت أن أذهب مباشرة إلى جانب رأس جدي حتى لا يرى الحزن والدموع في عيني خوفًا عليه.

وعندما أصبحت بجانب رأسه أخذت أقبل رأسه وأنا أحاول أن أخفي أي شيء يصدر مني حتى صوتي ، قال أهلاً يا وفاء لاحظت بأن كلام جدي تغير ونطقه للحروف أصبحت صعبة جدًا ، وعرفت بأنه بفعل الجلطة التي أصابته في القلب.

قالت جدتي: الحمد لله على سلامتك.

ولكن الذي رأيته على جدتي أنها كانت شجاعة أكثر وتتحدث معه بشكل طبيعي أفضل مني .

جدي يكلمني بصوت ضعيف ..

لماذا لا تجلسين يا وفاء أمامي كي أرى وجهك وأسمع صوتك، أراك صامتة لا تتحدثين إنها مجرد جلطة بسيطة جدًا والحمد لله على ذلك.

وبكل دهشة مني ..

- من قال لك هذا الكلام يا جدي ؟

- الطبيب أخبرني بذلك وأنا راضٍ بقدر الله

أخذت دموعي تنهال لا إراديًا وأنا أشعر بشفقة و عطف شديد على جدي.

بعد يومين تم نقل جدي من العناية المركزة إلى إحدى الغرف داخل المستشفى ونحن نزوره لمدة شهر تقريبًا وهي المدة التي أمضاها جدي في المستشفى.

****

جاء اليوم الذي خرج فيه جدي من المستشفى إلى البيت وأحسست بأن البيت الآن أصبح له رونق وجمال أكثر وأهل القرية كل يوم يزورونه ويتمنون له الشفاء العاجل .

في إحدى الأيام سمعت من يطرق الباب وعندما فتحت الباب وجدت أمامي أبا أحمد وهو يبتسم لي وفي يده باقة من الزهور ويقول لي : الحمد لله على سلامة جدك هل أستطيع الدخول إليه ؟

فقلت: تفضل إنه بتلك الغرفة التي أمامك.

لكن الذي لاحظته بأن جدي عندما رآه كأنه لا يرغب في لقائه أو زيارته له.

استغرق وقت الزيارة لمدة ساعة من الزمن غادر بعدها أبو أحمد ولكن لم تبد على وجه جدي علامات الرضا بعد هذه الزيارة، وكأن هناك شيئًا ما حدث بينهما و عكر صفو جدي.

بعد ذلك بدأت تتكرر زيارات أبي أحمد لنا كل يومين أو ثلاثة أيام لمدة شهر تقريبًا.

في أحد الأيام ... كنت أناول جدي بعض الأدوية التي كان يجب أن يأخذها في ميعادها وبعد أن اطمأننت بأنه تناولها كلها، هممت بالانصراف فإذا بجدي يقول لي : ..

- وفاء انتظري قليلاً أريـد الحديث معك يا ابنتي

فجلست على كرسي بجانبه ..

- تفضل يا جدي أنا هنا في خدمتك

- بارك الله فيك يا وفـاء الله يرزقـك بـابن الحـلال الذي يسعدك.

- جدي هذا الموضوع ليس وقته الآن...

أولاً: لأنني مازلت صغيرة جـدًا وعمري ستة عشرة عامًا فقط، ثانيًا: لا أفكر في الزواج أبـدًا وسـأبقى في خـدمتك أنت وجدتي مدى حياتي.

- لا يا ابنتي هذا ليس صحيحًا أبـدًا كل فتاة مآلها الزواج والبيت والأولاد وأنا أريـد أن أطمئن على مستقبلك قبـل أن ..

- لا يا جدي لا تقل ذلك حفظك الله لنا، وجـودك معنـا هو الحياة نفسها أرجوك لا تفكر في هذا يا جدي

- لكن يا ابنتي هذه سنة الحياة التي أرادها الخالق لنا، كل إنسـان يأخذ نصيبه من هذه الحياة ثم يرحـل، ألا يكـفي أنك تركتِ المدرسة؟ أترفضـين الزواج أيضاً؟

- وجودك معـي يا جدي هو ما يعوضني عن كل هذا ..

أعتقد أنك تريد الخلاص مني والأهم مـن ذلـك أيـن هـو الآن حتى تزوجني له ؟

يضحك جدي بشدة ولكن بلمسة من الحـزن والألم ..

- إنه موجود يا ابنتي المهم موافقتك أولاً

نظرت إليه باستغراب من يكون يا جدي

- إنه أبو أحمد.

- صرخت : من أبو أحمد ؟ هذا الرجل ؟ ...

- يقاطعني جدي ولكنه رجل كبقية الرجال

- لا يا جدي هذا الرجل مختلف عنهم

- اسمعيني جيدًا يا ابنتي... نحن نعيش في قرية لها عاداتها وتقاليدها ورفضك الزواج من أبي أحمد سوف يكلفني الكثير أمامهم أتمنى أن تفهمي ذلك يا ابنتي وتقدري ما أقول.

نظرت لجدي وأنا أتذكر كلام الطبيب وتعليماته لي أنا وجدتي بأن نجنبه الانفعالات والمواقف التي تعرض حياته للخطر مرة أخرى، فقلت له:

- امهلني يومين وسوف تجد ما سوف يرضيك .

ذهبت لغرفتي وأنا أفكر في هذا الأمر الصعب الذي تعرضت له ، لا أستطيع الرفض وأغضب جدي وأعرض حياته للخطر ولن أستطيع قبول هذا وأنا لا أطيق ذلك الرجل الذي لم أشعر بالراحة له عندما رأيته أول مرة أمام باب بيتنا .

بعد ساعة من التفكير مع نفسي رأيت جدتي تدخل غرفتي وتغلق الباب خلفها

- اسمعيني يا وفاء أنا أعـرف بـأن الأمـر صـعب عليـك ولكن ليس أمامك أي خيار وأنت تعلمين بمرض جدك وما قاله الطبيب لنا من تعليمات للحفاظ عليه

- ولكن جدي يستطيع أن يقول: (لا) وينتهي كل شيء

- لا يا وفاء الأمر ليس بهذه السهولة التي تتصورينها

- وما الصعب في ذلك يا جدتي ..

- أولاً العادات والتقاليد هنا في القرية عندما تتم خطبـة الفتاة وجاء من يطلبها للزواج فلا خيار لديها في الـرفض أو القبول.

- ولكن يا جدتي أليست جسـدًا وروحًـا ولهـا الحـق في الاختيار مثلها مثـل الرجـل الذي لديـه حريـة الاختيـار للزوجة التي يريد ؟!

- لقد قلت لك يا ابنتي هذا كله ينافي عادات وتقاليد هذه القرية التي نعيش بها ولا أعتقد بأنك سترضين لجدك أن يكون في موقف محرج جـدًا أمامهم .

- وماذا سيقولون عنه لو افترضنا بأنني رفضت ؟

- وهل سترفضين بالفعل ؟ ...

- أنا أفترض ذلك

- سيقولون بأنها تريد رجلًا آخر أوسيفكرون بأشياء سيئة أخرى تنال من شرفك وشرفنا كلنا.

- يا إلهي... ألهذه الدرجة عقولهم مغلفة بالجهل والعادات والتقاليد التي فرضت على جميع نساء القرية كلها وليس لهن أي رأي أو اختيار ، إنها حياتي وأنا أرسمها كيف ما شئت.

- أرجوك يا ابنتي لاترددي هذا الكلام أمام أحد آخر وتضعي جدك في وضع لا يرضيه

- يا لها من قرية تعيش في عزلة عن العالم والآخرين من حولها وتفترض أشياء تخالف كل ما هو إنساني، وكأن المرأة مستعبدة لديهم ولا قيمة لها بجانب الرجل.

- ابنتي ... افهميني جيدًا هناك سبب آخر يمنع جدك من الرفض أيضًا، الأرض التي يزرعها جدك ليست ملكاً له.

- أعلم ذلك .... لقد ذكرت هذا في السابق لي.

- هذا صحيح ، ولكن هناك شيئًا آخر جدك مدين لأبي أحمد أيضًا بمبلغ كبير جدًا من المال كان يأخذه منه بين فترة وأخرى لنستطيع أن نلحقك بالمدرسة ومصاريفك الأخرى التي لم نعد قادرين عليها .

وأخذت أبكي وأقول : يا إلهي ماذا أفعل .. ماذا أفعل ؟

- اهدئي يا ابنتي وفكري في حال جدك لقد كثرت عليه الهموم ولن يستطيع تحمل المزيد منها، عاش حياته فقيرًا جدًا والديون ترهقه وتتعبه نفسيًا والآن المرض حمل آخر يتحمله، فلن يستطيع أن يتحمل صدمات أخرى ممكن أن تفقده حياته وسنفتقده يا وفاء.

- لا يا جدتي لا تقولي ذلك عن جدي ، ولكن حدثيني عن أبي أحمد وعن ظروف حياته.

- رجل لديه المال ولديه زوجة وثلاث بنات هذا ما أعرفه عنه ..

- ومتزوج ولديه ثلاث بنات هل ترين بأن هذا الرجل مناسب لي ؟

- إنه نصيبك يا ابنتي الذي أراده الله لك وليس بأيدينا أي خيار ، لعله يسعدك وتكون حياتك أفضل من الآن .

- من أجل جدي سوف أفعل أي شيء ولكن هذا الرجل عرف كيف يستغل ظروفنا السيئة ويجعلني مثل صفقة لديه ... عرف كيف يربحها ..

- المهم الآن هل أنتِ موافقة يا ابنتي

- قلت لك من أجل جدي سأفعل أي شيء.

- بارك الله فيكِ، وأتمنى لك السعادة في حياتك القادمة بإذن الله.

خرجت جدتي من الغرفة وانتهى حواري معها وأنا لا أعلم ماذا أفعل وماذا سأقول وليس بيدي أي شيء أبدًا، حتى قلبي أصبحت لا أملكه وأيضًا عقلي، فهذه هي حياة القرية التي أعيشها وهذه تقاليدها فأي امرأة هنا أو فتاة تعيش فيها ليس لها قلب مثلي وليس لها عقل تفكر به فكل شيء شبه معطل فيها فستجد من يفكر لها ويختار لها، والمطلوب منها حاجة واحدة فقط هي أن تقول نعم

وتنفذ جميع ما يطلب منها من غير تردد أو تأخير لكن ذلك لا يهم مقابل حياة جدي الذي حاول أن يسعدني ويتحمل هذا العذاب كل هذه السنين من أجلي، والآن هو بحالة سيئة جدًا ولن يتحمل أي صدمة يراها أمامه، فلن أكون أنا السبب في ذلك .... يا حبيبي يا جدي.

بقيت على هذه الحالة حتى طلوع الفجر وأنا أفكر في حياتي المقبلة وكيف ستكون مع هذا الرجل ، وليس لي منه أي خلاص أبدًا وكيف سأواجه جدي وهو المريض ولن يستطيع تحمل أي صدمة أو مشاكل قد تحدث ما بينه و ما بين أبي أحمد بسبب رفضي له .

بقيت في السرير لمدة أربعة أيام مريضة وحرارة جسمي تقترب من 39 درجة وأنا أرى الحزن والألم على وجه جدتي وهي تقول لي ..

- ابنتي وفاء إذا كان هذا الأمر لا يعجبك فلن يتم أبدًا و أي شيء نخسره لن يكون أعز لدينا منكِ.

وبعد هـذه المـدة الـتي أمضـيتها بسـريري وأنـا مريضـة ومهمومة أيضًا، خرجـت مـن غـرفتي واتجهـت إلى جـدي وقلت له: ماتراه مناسبًا يا جدي فأنا لن أخالف لك أمرًا .

بعد يومين من قراري هذا وجدت أبا أحمـد جـاء بمـأذون لإتمام عقد الزواج ومعه اثنان من الشهود.

أشعر وكـأنني نذرت روحي لذلك الرجل بغـير رغبـة مـني ولكنها الظروف أحيانًا تجعلنا نتخذ بعض القـرارات مـع أنفسنا حتى إن لم نكـن راغبين أو مقتنعين بها.

قرر أبو أحمد أن يكون يوم الزفاف بعد شـهر مـن الآن .

جاءت جدتي لتخبرني بذلك فقلت لها: افعلوا ما شـئتم لا فرق عندي في ذلك، بعد شهر بعد سنة في النهايـة سـوف أكـون زوجة له ..

جدتي تحاول أن تخفف عـني ....

- وفاء الوقت قصير جـدًا وقد تحتـاجين لبعـض الملابـس و أشياء أخرى قبل موعد الزفاف

- لا أريد شيئًا، أي شيء تحضرينه سوف أكون راضية به.

- كلامك هذا يا ابنتي دليل على عدم سعادتك أو رضاك عن هذا الزواج.

- أنا قلت رأيي وموافقتي لجدي وأي شيء آخر، أرجوك سأحتفظ به لنفسي، لا أريد الحديث عنه .

أتى اليوم الذي سيقام به الاحتفال بزفافي وأنا أشعر بأنني مثل وليمة أعدت للطعام كي تروق لمن اشتراها عندما يتذوقها ليلتهمها .

بعد أن انتهت مراسيم الاحتفال جاء الوقت الذي سوف أغادر فيه مع أبي أحمد.

وجدت جدي يجلس على الكرسي المتحرك ينتظر خروجي من الباب ليودعني.

لأول مرة أرى الدموع في عينيه وهو يقول لي : مبروك يا وفاء .. مبروك يا ابنتي أتمنى لك السعادة في حياتك الزوجية.

لم أستطع أن أتحدث معه بكلمة واحدة، فذهبت إلى السيارة التي كانت تقف أمام الباب، فانطلقت بنا أنا وأبو أحمد والدموع تملأ عيني حزنًا على فراق بيت جدي الذي لم أتخيل بأنني سوف أعيش بعيدة عنه في يوم من الأيام، وكلما زادت المسافة وابتعدنا عن المكان الذي عشت فيه أشعر كأنني طفلة انتزعت من بين أحضان أمها لتمضي إلى طريق المجهول الذي لا تعلم كيف تكون نهايته .

دخلت إلى بيت أبي أحمد وأنا أشعر بوحشة وضياع وكأنني في حياة أخرى غير الحياة التي أعرفها وكنت أعيشها .

أغلقت باب الغرفة بالمفتاح وأنا في حالة بكاء شديد ولا أصدق بأنني أصبحت زوجة لذلك الرجل الذي لن يكون له في قلبي أي عاطفة أو حب ، مجرد ورقة يقال بأنها عقد زواج وفي داخل نفسي لا أعترف به ، سمعت صوت أبي أحمد يقول لي: افتحي الباب يا وفاء...

نظرت إلى الباب وأنا في حالـة انهيـار تـام، فقـررت عـدم فتحه، فأنا محتاجة أن أكــون وحـدي ولا أريــد أن أرى أحدًا أمامي ولا أتحدث مع أحد ، أخذ يطرق الباب بشـدة وصوته مليء بالغضب ... افتحي الباب يا وفاء لا داعي لهذه الفضائح أمام الناس...

أطفأت النور وكـأنني لا أسـمع شــيئًا وألقيـت بجسـدي فـوق السرير وأنا أشعر بتعب وإرهاق شـديدين مـن بعـد يوم شاق لتجهيز الاحتفال ، وقـررت أن أنـام وحـدي وفي الصباح عندما أراه سيكون لنا حديث آخر . ولن يكـون هناك شيء أسوأ من الذي أنا فيه الآن .

استيقظت في الصباح و أنا مازلت بفستان الزفاف فبدلت ملابسـي وخرجـت مـن الغرفـة وأنـا أحـاول أن أكــون طبيعية جـدًا وكأن شـيئًا لم يكن، بـحثت عنه فوجدته نائماً على أحد المقاعد في الصالة.

أخذت أفكر ماذا سأفعل عندما يستيقظ من نومه، أعتقد أنه سيكون غاضباً مني بما فعلته معه ليلة البارحة.

ذهبت إلى المطبخ لتجهيز شيء للإفطار، وفجأة وجدته يقف بباب المطبخ ويقول لي :..

- ما الذي فعلتِهِ معي ليلة البارحة.

التزمت الصمت ولم أجب بأي شيء ..

- هل تريدين أن تفضحيني أمام زوجتي أم ماذا تقصدين؟

- ما علاقة زوجتك بذلك أليست في بيت آخر ؟

- الذي لا تعرفينه بأنها تسكن بنفس هذا البيت و لا يفصل بينكما غير ذلك الباب الذي ترينه أمامك عند خروجك من المطبخ.

- ولكن من شروط العقد عليك أن يكون لي بيت شرعي مستقل عن زوجتك الأولى وأنت قبلت بذلك

- هذه هي إمكانياتي التي أستطيعها

- ولكن الذي أعرفه بأن لديك الكثير من المال والعديد من الأراضي والمزارع

- قلت لك إن هذه إمكانياتي

- يعني خدعتنا والآن ظهرت على حقيقتك

- وهل موافقتكم كانت من أجل المال أم من أجلي ؟

- لو كان الأمر بيدي حتى لوكنت تمتلك هذا العالم كله لن أفكر في الزواج منك.

ولم أنتهِ من كلامي هذا إلا و قد هوى بيده ليصفعني على وجهي وأمسك بشعري وقال لي أما كفاك مافعلته ليلة أمس معي وترفعين صوتك أيضًا أنت الآن زوجتي ولا يهمني ما تقولينه.

فهربت من أمامه واتجهت لغرفة نومي وأغلقت الباب لكنني لم أجد المفتاح لقد أخفاه عني، عرفت بأنني أواجه شخصًا عنيدًا جدًا وكله دهاء ولن أحتمل العيش معه بعد اليوم .

سمعت صوت زوجته تتحدث معه بأن إحدى بناتها مريضة ويجب الذهاب بها إلى الطبيب حالاً، ففتح باب الغرفة وقال لي بأنه سيذهب إلى الطبيب وسيأتي بعد ذلك ويتمنى أن يجدني زوجة أمامه .

حركت رأسي له بالموافقة وأنا خائفة منه وأتمنى خروجه من البيت بسرعة.

تأكدت بأنه غادر البيت مع زوجته وابنته المريضة، فتحت الباب بسرعة هاربة إلى بيت جدي وأنا خائفة حتى وصلت إلى بيت جدي الذي كان يبعد مسافة طويلة طرقت الباب وفتحت الباب جدتي وهي في حالة ذهول من حضوري في هذا الوقت المبكر من صباح زواجي ..

- وفاء ما الذي أتى بك هذا الوقت ؟

- أبدًا يا جدتي لقد اشتقت لكم

رأيت جدي أمامي وهو يقول: خيرًا يا ابنتي ماذا حدث لك حتى تأتي في هذا الوقت ؟

لم أستطع أن أتمالك نفسي عند رؤيتي لجدي فأخذت أبكي وأقول .... خلصني من هذا الرجل يا جدي لا أريد أن أراه مرة أخرى.... أرجوك أرجوك .

- ولكن قولي ماذا حدث لك معه لتتخذي هذا القرار في اليوم التالي من زواجك منه .

لم يمضِ بي الوقت وأنا أتحدث معه حتى سمعت بمن يطرق باب البيت وفتحت جدتي الباب و إذا هو أبو أحمد يقول لجدي: هل يرضيك ما تفعله معي ابنتكم المدللة؟ الآن أأمرها بالذهاب معي للبيت و إلا سترى ماذا سأفعل بكم أمام أهل القرية كلها .

حاول جدي أن يهدئ من غضبه لكنه كان ثائرًا ويتوعدنا بكل ما هو قبيح.

قال لي جدي: يا ابنتي أنا أرى أن تذهبي مع زوجك فموقفنا صعب جدًا أمام الناس خصوصًا أنه لم يمضِ على زواجك إلا ليلة واحدة أرجوك يا ابنتي .

عرفت بأنه لا خلاص لي منه أبـدًا وأنني سـأعود معـه إلى البيت.

أخذني من يـدي وهو يشدني ويقول لجـدي: إنكمـا لـم تحسنا تربيتها وأنا الآن زوجها ومن حقي أن أؤدبها .

صمت جـدي كان يقتلـني، لمـاذا يستسـلم لهـذا الرجـل؟ ويضعف أمامه ؟

كل هذا من أجل الفقر والحاجـة إليـه أم مـن أجـل أهـل القرية والعادات والتقاليد التي تجعـل مـن المـرأة بضـاعة رخيصة الثمن في يد رجل كأنه إلٰه مقدس يجب أن تطيعه المرأة وتخضع تحت سلطته حتى وإن كان جاهلًا في تعليمه وثقافته لكنه هو الرجل إنه ظلم و نوع من الاسـتعباد كل الديانات ترفضه .

مضيت معه وأنا لا أعرف أين أمضي ولمـن أشـكو هـمي . لكنه زوجي ويجب عليّ طاعته حتى وإن كرهت ذلك.

****

لم يمضِ على ذلك يومان حتى سمعت بخبر وفاة جدي لقد انطفأ النور الذي كنت أرى حياتي من خلاله لقد تركني لألمي و حزني تركني وحدي لحياة مرة لا أطيق العيش معها، ولا طعم لأيامي بعد رحيل جدي .

أمضيت في بيت جدي عدة أيام وأنا في حالة حزن شديد ومما زاد من حزني أن أرى جدتي وهي في انهيار تام حزنًا على فراق جدي ، فقررت البقاء معها فهي وحيدة الآن وأخاف عليها، ومن بقي لي في هذه الحياة غيرها .

أتى أبو أحمد ليقول لي: إلى متى هذا الحزن ؟ إنها الحياة التي نعرفها لقاء ثم فراق وقد مضى على رحيل جدك أسبوع الآن و أعتقد أن هذا يكفي لتعودي إلى بيتك.

نظرت إليه وأنا أراه إنسانًا لا يشعر بألم الآخرين ولا بحزنهم، وكأن هذا الرجل الذي رحل عنا لم يكن صديقًا له طيلة هذه السنين التي مضت، يكفي بأنه كان يعمل لديه بكل أمانة وإخلاص هذه المدة التي أمضياها معًا.

فقلت له بعد تفكير مع نفسي: ..

- اسمع يا أبا أحمد، الظروف الآن تغيرت تمامًا وكما ترى جدتي امرأة كبيرة في السن وهي بحاجة لي الآن خصوصًا بعد رحيل جدي فكيف أتركها وحيدة في هذا البيت؟

- وأنا ماذا عني ألا تفكرين بي أم نسيتِ بأنني زوج لك دعي عنك هذا الكلام السخيف وهيا بنا.

- أرجوك يا أبا أحمد أنا لم أنسَ بأنك زوجي أبدًا

- ولكن ماذا هل هناك كلام آخر ؟

- أرجوك اسمعني أنت .. أنا لا أنكر بأنك زوجي ولك كل الحق فيما تقول ولكن ظروف جدتي الآن سيئة جدًا وهي في حاجة ماسة لي، وأنت لديك زوجة أخرى وتستطيع خدمتك هل تفهمني ؟

- هذا ما تريدينه إذًا ، أنا الآن آمركِ بالذهاب معي وما تقولينه لا يعنيني أبدًا هل تسمعينني جيدًا ؟

- أبا أحمد أرجوك الأمر لا يستحق منك كل هذا الغضب

- هل ستأتين معي الآن وإلا فسوف يكون لي معك شأن آخر.

كان يتحدث معي بصوت عالٍ ويصرخ بوجهي ويتحدث بكل ثقة منه، وأعتقد بأنه يتعمد ذلك ليسمع جدتي هذا الكلام وبالفعل تأتي جدتي وهي تتحامل على نفسها

- اذهبي يا وفاء مع زوجك فأنا الآن بخـــير وأستطيع أن أدير شئوني فلا تقلقي عليّ أبـدًا يا ابنتي

- ولكن يا جدتي ...

- قلت لك اذهبي مع زوجك ولست بحاجة لك الآن

أشعر وكأن جدتي تقول هذا الكلام وهي في حالة انكسار وتحتاج إلى من يقف معها ولكنها لا تريد المزيد من المشاكل مع هذا الرجل الشرس الذي ليس لديه قلب ولا أي إحساس.

ذهبت معه وأنا كلي ألم وخوف على جدتي خصوصًا بأنها الآن وحيدة في البيت، ولكن ماذا أفعل وأنا ليس بيدي أي حلول حول هذه المشكلة ..

مضى على غيابي عـن جـدتي يومـان وأنـا قلقـة جــدًا لا أعرف عنها شـيئًا فطلبت منه بأن أذهب فقـط لأطمـئن عليها لمدة ساعة ثم أعـود للبيت بسرعة .

لكنه رفض وقال: بعد أسبوع يمكنك رؤيتها، إنهـا مجـرد حجة منك كي تخرجي من البيت وأنـت لا تريـدين البقـاء فيه ولا تريدين أيضًا رؤيتي ..

فقلت في نفسي: بالفعل إنني لا أريدك ولا أريـد أن أراك أبـدًا لكنه قـدري والظروف التي جعلتني زوجة لك مـن غير إرادة مني وتلك التقاليد الـتي تسـلب المـرأة حقوقهـا وتجعلها أسيرة لرجل لا تطيق العيش معه، ولكـن أيـن هذا النظام وهذا القانون الذي سيحميني من هـذا الظلـم الذي وقعت به وتقع فيه نساء القرية كلها، نعيش هنـا في هذه القرية أحياء ولكننا مثـل الأمـوات أجسـاد تعـيش ولكن بلا روح ..

نهض من مكانه وهو يقول لي :

- أنا خارج الآن هل تريدين شـيئاً أحضره معـي ؟

- وماذا أحتاج بعد هذا السجن الذي وضعتني فيه حتى جدتي تمنعني من رؤيتها.

- إنها المرة الأخيرة التي أسمح لك بها أن تتحدثي معي بهذا الأسلوب غير المهذب وإلا سوف ترين السجن الذي يرضيك.

أخذت أبكي فلم أعد أحتمل هذه الحياة الأليمة التي أعيشها والظروف القاسية التي تعصف بي من كل جانب مع زوج قاسي القلب لا يقدرني ولا يحس بالألم الذي بداخلي....

يا إلهي أعني بالصبر على هذا ... لقد ضاق بي هذا العيش ولم أعد أحتمل.

****

لم يمض على ذلك بعض أيام حتى مرض أبو أحمد وأدخل المستشفى لمدة أسبوع، وعند زيارتي له طلب مني عدم الخروج من البيت أبدًا، وإذا أردت أي شيء يمكنني أخذه عن طريق زوجته فقد أخبرها بذلك، وعندما سألته عن زيارة جدتي قال : عند خروجي من المستشفى ستزورينها بإذن الله.

فأخذت أستمع له ولتلك التعليمات التي اعتدت على سماعها منه حتى لو لم تعجبني ليس بيدي غير الموافقة عليها، وليس أمامي غير الطاعة وقول نعم.

بعد يوم احتجت لبعض الأشياء التي تنقصني في المطبخ، فذهبت إلى زوجته كما قال لي ..

فقلت لها : مساء الخير فلم تجبني وكأنها لا تسمعني، فقلت لها مرة أخرى مساء الخير

فقالت نعم ماذا تريدين ..

- أنا أحتاج لبعض الأشياء التي تنقصني

- أولاً من الذي سمح لك بالدخول هنا

- أبو أحمد هو من قال لي ذلك

- ثانياً أنا لست مسؤولة عن واحدة حقيرة مثلك

- أتقولين حقيرة ؟ أرجوك ما هذا الكلام غير اللائق معي

- نعم أتقولين غير لائق ، وما هو الكلام الذي يليق بك، أما كفاك خطف زوجي مني وتريدينني أيضًا أن أنفق عليك أيتها الفقيرة المتسولة ، ألم تجدي غير زوجي أيتها اللصة الحقيرة؟

- أرجوك لا تتحدثي بهذه الطريقة معي

- وما هي الطريقة التي تعجبك إذًا ؟..

تقولها وهي تضحك بكل سخرية مني ....

- إنها الظروف التي قادتني إليه ولم أكن أفكر في هذا أبدًا .

- الظروف أم الفقر الذي كنت تعانين منه ورأيت بأن ماله هو الذي سينتشلك من حياة الذل التي تعيشين بها.

- أنا عشت في بيت جدي وهو من أطيب رجال القرية وأخيرهم ، ولم يبخل عليّ بأي شيء ، وقد عشت حياة كريمة مثل أي فتاة في القرية وكنت سعيدة بذلك

- عظيم جدًا وماذا تريدين من زوجي إذًا ؟

- وماذا أريد منه ، إنه زوجي بعقد زواج شرعي

- وبعد هذا ماذا تريدين منه ؟

- وماذا أريد ..أنا لا أريد أي شيء

- آه منك أيتها الماكرة أنت تريدين أمواله والاستيلاء عليها، وتشاركينني فيه أو ربما تأخذينه مني ومن بناته ألا تخافين الله ؟

- هل ترين في هذه القرية امرأة واحدة تستطيع أن تقول نعم أو تقول لا ؟... إن كل النساء هنا ليس لهن حول ولا قوة وتقاليد الأهل هي التي تحكمنا، وأنت أيضًا عند زواجك من أبي أحمد أعتقد أنه لم يكن لديك أي خيار في ذلك.

- لكنني كنت زوجته الأولى في حياته ولم أقتحم حياة امرأة أخرى مثل ما فعلت أنت معي .

- إنه مجرد حظ أو صدفة أتت إليك لترتبطي برجل لم يكن لديه زوجة سابقة قبلك

- وما ذنبي أنا كي أحتمل امرأة مثلك وأدعها تقاسمني معيشتي ورزقي وأيضًا تشاركني زوجي الذي لم يعد لي وحدي

- إنها ذنب التقاليد والعقول التي لا تنصف المرأة في أخذ حقوقها وتحديد مصيرها برغم التقدم الذي نراه من حولنا في الثقافة والتعليم وجميع المجالات لكن المرأة لاتزال خارج القانون وخارج تلك الدائرة.

- أهنئك على هذه الفلسفة والدروس التي تلقينها على مسامعي من أجل إقناعي وتبرير جريمتك التي ارتكبتِها في حقي وحق بناتي، لكنه الطمع الذي جعلك تتخذين العادات والتقاليد ذريعة لك من أجل المال، وليس غير المال الذي تسعين للحصول عليه والهروب من فقرك الذي

كنت تعيشين فيه، وأنا أعرف كيف كانت أحوالك المعيشية قبل زواجك من أبي أحمد، إنك امرأة كالأفعى عرفت كيف تلتفين حول زوجي وتغررين به وأراه الآن يجري خلفك وكأنه لا يرى في القرية امرأة غيرك

- كفى أرجوك أنت لا تعلمين الظروف التي تزوجت فيها أبا أحمد .

- وما هي تلك الظروف ؟ أتقصدين الفقر ؟

- كنت أتمنى أن يكون النقاش معك أفضل من ذلك، إذا كنت أنت إحدى نساء القرية وتتحدثين بهذه الطريقة الرجعية التي يتحدث بها أهل القرية، فكيف إذًا ستأخذ المرأة حقوقها وتتحرر من هذا الظلم الذي يحيط بها ؟

- اخرسي أيتها الأفعى تتهمينني بالرجعية والتخلف، أيتها المتسولة المتشردة ألا تعلمين بأن أبا أحمد له الفضل كله في تعليمك ونفقات ملابسك وكتبك طوال الفترة السابقة من عمرك، صحيح بأنني لم أحصل على فرصتي في التعليم

مثلك ولكن لن أرضى بأن أعيش على أموال الصدقات مثلك.

- جدي له الفضل وحده في تعليمي، والشيء الذي أعرفه ليس لأبي أحمد غير أرض المزرعة التي كان جدي هو من يزرعها ويجني ثمارها من عرقه وتعبه وكنا نعيش من ثمنها ، لذلك كيف أصدق ما تقولين؟

- اسمعيني جيدًا، جدتك لاتزال على قيد الحياة اسأليها عن بقية الحقيقة التي تدعين بأنك تعرفينها وأنا أرى بأنك تجهلينها، ومن أجل تأكيد حقيقة ما أقول فأنت كنت الثمن الذي قدمه جدك لزوجي مقابل ذلك ..

- كفى كفى لا أريد سماع المزيد منك أنت كاذبة كاذبة.

وهربت من أمامها وأنا أجري وكأنني بين غيوم سوداء أراها من حولي وأسمعها تقهقه وتضحك بصوت مرتفع جدًا لزيادة غيظي، وكل ذلك لغيرتها الشديدة على زوجها، وتريد الخلاص مني و إزاحتي من طريقها ..

إن هذه الحياة القاسية التي تعيشها النساء في القرية وعدم الاعتراف بأي واحدة منهن كإنسانة لها كيان ومشاعر ومن حقها أن تعيش وتختار طريقها الذي تريد، جعل من الرجل قوة خارقة ليفرض سيطرته كما يشاء ويلغي عقل المرأة وتفكيرها وقتل مشاعرها هذا من جهة. ومن جهة أخرى عدم قدرة النساء وضعفهن أمام الرجل جعل نار الحروب تشتعل بينهن من مكر ودهاء، وكل واحدة منهن تحاول الخلاص من الأخرى وهذا هو أقصى شيء يستطعن فعله من أجل البقاء، وكأن هذه القرية يتطابق بها قانون تقاليدها مع قانون الغابة في الصراع ما بين القوي والضعيف من أجل البقاء، وسيكون البقاء الأكيد للأقوى .

أغلقت باب غرفتي وانتابتني نوبة بكاء وإحساس بأنني في طريق نهايته الضياع ، لقد دخلت معركة أخرى مع زوجته بجانب معركتي السابقة معه .

بقيت هكذا لمدة يومين فقدت شهيتي للطعام والشراب وأنا أشعر بأن حياتي الزوجية هذه لن تستمر أبدًا وسيأتي عليها ذلك اليوم الذي فيه سوف تنهار، أو أنا التي سوف أنهار وأفقد عقلي.

.....

بالأمس كنت أبحث عن السعادة لكنني الآن أبحث عن الراحة والحرية التي أفتقدها وكأنني سجينة بين هذه الجدران لا أستطيع أن أفعل أي شيء بإرادتي وكأن حياتي مرهونة بيد سجان يقيدني بسلسلة من الأوامر التي يجب علي تنفيذها دون إرادة مني، حتى الهواء الذي أتنفسه أشعر بأنني لا أستطيع أن أستنشقه بإرادة مني أيضًا حتى يأذن لي بذلك، إنني أختنق ولا يمكنني العيش والبقاء في هذا السجن الذي وضعت به تحت اسم قيد يقال له عقد الزواج، كيف يكون زواجًا وعقده صحيح وأنا لم تؤخذ

موافقتي بحرية مني، لكنها انتزعت مني تحت ظروف كانت أقوى وأكبر من إرادتي...

سامحك الله يا جدي لقد وضعتني في سجن لا أعلم كيف الخروج منه وكيف ستكون حريتي ... لا لا إن جدي كان سجين الفقر أيضًا ولم يكن كل شيء بإرادته، إن جدي كان ضحية أيضًا قبلي، وكان يحبني ولا يمكنه أن يبيعني لهذا الوحش المفترس الذي لا يهمه من الحياة غير نزواته، ومتى أراد الشيء امتلكه بقوة ماله ونفوذه على هؤلاء الفقراء .

لكن ما ذنبي أنا إن كنت ولدت في هذا المجتمع الذي لا يرى في المرأة غير أنها ظل الرجل الذي تتبعه حيث ما أراد تتجه خلفه في طاعة وخضوع، إنني متعبة جدًا ولا أستطيع التفكير أبدًا لأنها ليست قضيتي وحدي لكنها قضية كل امرأة تعيش أسيرة لعادات وتقاليد نتوارثها بقانون لا يمكن تبديله ولا تعديله، يسمى قانون المجتمع، فأين هي الحقيقة وأين هو القانون الصحيح ؟

فالمرأة ضائعة ما بين قانون العادات والتقاليد وقانون الشريعة التي تقر بحقوق المرأة وحمايتها من الظلم والاستغلال....

إنه موضوع شائك جدًا وأكبر من تفكيري وقدرتي، فأنا متعبة جدًا وضعيفة جدًا ولن أستطيع أن أفعل شيئًا، فمن ينصفني من هذا الظلم الذي وقعت به ؟

ومن القاضي الذي سيأخذ بيدي ويمنحني حريتي التي أفتقدها الآن ...

أريد الحرية فقط .. أريد الحرية فقط

لم أشعر بأنني قد نمت بعد هذا الجهد والتعب الذي أمضيته بالتفكير مع نفسي، وصحوت على صوت يد تطرق الباب وفزعت من نومي وأنا لا أصدق بأنني أمضيت هذا الوقت وأنا نائمة ، فتحت الباب فوجدت جدتي تقول لي ..

- ماهذا الذي فعلته يا ابنتي لقد تعبت وأنا أقف ساعة أمام الباب خذي هذا من يدي ..

- ماهذا الذي تحملينه يا جدتي

- خذيه من يـدي يا وفاء ولا تسألي

أخذت الأشـياء من يـدها وعنـدما نظـرت إليهـا وجـدت بأنها بعض الأطعمة وأشياء أخرى بالفعل كنت أحتاجها، فقلت لها وأنا أتظاهر أمامها ..

- ما هذا الذي تأتين به يا جدتي لقـد كلفـتِ على نفسـك بهذه الأشياء.

- ليس هناك أي كلفة يا ابنتي

قلت في نفسي بأن زوجك ينام بالمستشفى وقد تحتـاجين لأشياء تنقصك ..

- لا يا جدتي الخير موجود والحمد لله

- متى سيخرج زوجك من المستشفى ؟

- لقد قال الطبيب سيمضي أسبوعًا كامـلاً ومـا بـقي منـه يومان فقط.

- الحمدلله يا ابنتي أن الرجل في حياة المرأة قوة لها وحمايـة من قسوة الحياة ومتاعبها .

- أنت يا جدتي تتحدثين عن بعض الرجال وليس كل الرجال.

- مهما يكن فليس هناك غنى للمرأة عن وجود الرجل بجانبها ..

- المهم يا جدتي هل ترغبين في شيء من القهوة أم الشاي؟ فقالت وهي ضاحكة ..

- لا هذا ولا ذلك أريدك أن تعدي أي شيء من الطعام الذي أحضرته معي لنتناوله، فنحن لنا وقت طويل لم نلتقِ ولم نأكل مع بعضنا البعض.

ذهبت للمطبخ وأنا أحضر الطعام وأقول في نفسي: مسكينة جدتي برغم أنها تعلم بقسوة أبي أحمد وجبروته معي لكنها تحاول بكلامها معي أن تهون عليّ حزني وألمي وتدخل البهجة إلى قلبي .

وضعت الطعام أمام جدتي وقلت لها تفضلي تذوقي من طعامك أقولها وأنا ضاحكة ..

- وفاء أنا لم آتِ بالطعام لأجلي فقط ولكن كي تشاركيني فيه.

- ولكن ليس لي رغبة في ذلك.

- ألم يعجبك طعامي، بصراحة شكلك لم يعجبني وأراك شاحبة اللون أعتقد أنك لا تأكلين الطعام وأنت وحيدة بالبيت .

- حاضر سأتناول ما أستطيعه فقط.

- ما بك هل أنت متعبة يا ابنتي ؟

- لا... ولكن أشعر ببعض الغثيان ولا رغبة لي في الطعام.

- كم مضى لك من الوقت وأنت لا تأكلين ؟

- يومان فقط.

- تقولين يومين !!

أأنت مجنونة يا ابنتي؟ كيف تفعلين ذلك؟ هذا نوع من الانتحار أتفهمين ؟

- نعم كلامك صحيح يا جدتي ولكن ...

- هل حدث شيء من زوجك قبل ذهابه للمستشفى، لأنني أراك غائبة عني لمدة أيام لم تزوريني.

- بصراحة يا جدتي هو يريدني أن أبقى في البيت ولا أخرج منه أبدًا.

- الصبر جميل يا ابنتي لعله يخاف عليك من السير في الطريق وحدك ، وهكذا هم الرجال وطباعهم.

فجأة نسمع صوتًا وكأن هناك من يحاول فتح باب البيت من الخارج فقالت جدتي :...

- هل تسمعين هذا الصوت ؟

- نعم أسمعه.

- ومن يكون هذا ؟..

- لا أعلم ولكن ليس هناك من يحمل مفتاحًا للباب غير أبي أحمد.

- ولكنك تقولين باقي على خروجه من المستشفى يومان

- نعم قلت ذلك بحسب كلام الطبيب.

وفجأة فتح الباب وإذا هـو أبـو أحمـد، وأنـا أنظـر إليـه في دهشة كيف استطاع الخـروج مـن المستشـفى وبـاقي على خروجه يومان إنه شيء غريب .

- السلام عليكم ، كيفك حمـاتي كيـف صـحتك الآن ؟ أخيراً فكرتِ بأن تزوري بيتي .

- أهلاً أبا أحمد الحمدلله على السلامة.

- كيفك يا وفاء إن شاء الله تكونين بخـــير

- الحمدلله على سلامتك هل تحب أن تشاركنا الطعام؟

- لا ... الحمد لله ليس عندي رغبة في ذلك

- لقد خرجت من المستشفى قبل موعد خروجك بيومين حسب أوامر الطبيب سابقًا

- نعم هذا صحيح ...

ولكن الطبيب رأى بأنني أصبحت بصحة جيدة ويمكنني أن أغادر المستشفى

- وكيف كانت نتيجة الفحوصات التي أجريت لك ؟

- لا تقلقي يا وفاء كل شيء تمام والحمدلله.

لا أعلم لماذا أشعر وهو يحدثني وكأنه لا يرغب في الحديث معـي ، ونظرات عينيه ترمقني بشكل يثير خوفًا بداخلي ، لا أعلم إن كانت هذه طبيعته هو وشخصيته التي خلق بها أم أنها أشياء غرست في نفوس هؤلاء الرجال منذ نشأتهم ، ولا يعرفون كيف التعامل مع زوجاتهم .

انصرف بنظره عـني وأخذ يتحدث مع جدتي حول أشياء لا معنى لها ، لكنها أحاديث كان يفتعلها من أجل تجاهلي وتجنب الحديث معـي .

أشعر ببعض التوتر بداخلي وعدم الارتياح لكنني أحاول أن أكـون بصورة طبيعية جـدًا ، وكـأنني لا أفهم شـيئًا من تصرفاته التي لم أعد أحتملها....

بعد فترة صمت، عندما توقف عن الحديث مع جدتي، حاولت أن أصطنع بعض الكلام وأقول له:

- هذا الطعام أعدته جدتي بنفسها و أرغب في أن تتذوقه سأقوم لأحضر لـك طبقًـا منـه لأعـرف رأيـك في طهيهـا للطعام.

- مادام من يد حماتي وهو كذلك ...

ذهبت للمطبخ لإعداد طبق من الطعام لأبي أحمد وعند عودتي إلى مكان جلوسهما أحسست بأنني أرى أمامي ضبابًا والأرض تهتز تحت أقدامي وأحسست بأن الطبق يقع من يدي ولا أعلم ماذا حدث لي بعد ذلك.

عند إفاقتي كنت على سرير أبيض وبجانبي زوجي وجدتي، نظرت لجدتي وقلت لها : ...

- أين أنا الآن ؟

- أنت في المستشفى يا ابنتي

- ماذا حدث لي إنني لا أتذكر شيئًا

- أبدًا لم يحدث شيء يا ابنتي مجرد إرهاق بسيط فقدت الوعي، والآن أنت بخـــير .

- وما سبب ذلك ؟

- مبروك يا ابنتي يقول الطبيب بأنك حامل

دخل الطبيب وقال لي :..

- مبروك يا وفاء أليس هذا هو اسمك ؟

ولكن عندك ضعف شديد في التغذية ويجب عليك تناول الطعام جيدًا بجانب الخضار والفواكه من أجل الجنين وصحتك

(جدتي تشير بيدها للطبيب ..)

- قل لها ذلك أيها الطبيب وأخبرها بما عندك من إرشادات لأنني أراها لا تهتم بأكل الطعام جيدًا وخصوصًا الآن من أجل الجنين الذي لا ذنب له في ذلك.

فقلت في نفسي ذنبي أم ذنب زوجي الذي لا يحسن معاملتي، أم ذنب زوجته التي منعت عني ما أحتاجه من طعام لمدة يومين، إلى أن جاءت جدتي و أحضرت لي الطعام معها، ماذا عساني أن أقول وهل يمكنني أن أقول للطبيب ذلك، إنه لا يعلم من أنا وكيف أعيش مع هموم أحملها في صدري، مجرد إرشادات سيقولها ويمضي لعمله وأنا سأعود لذلك البيت الذي هو سبب حزني وشقائي .

((أبو أحمد يقترب من الطبيب ويسأله ..))

- لو سمحت لي أيها الطبيب هل تستطيع وفاء أن تغادر المستشفى الآن.

- نعم ولكن بعد ساعتين من الآن لأنها تحتاج لبعض الحقن والمغذيات الطبية وبعد ذلك يمكنها الخروج إلى البيت ولكن يجب أن تحافظ على نفسها وعلى الجنين بمزيد من التغذية وهذا مهم جدًا.

وبعد ساعتين غادرت المستشفى وأنا في حالة إرهاق شديد وأحتاج للراحة التامة وعندي رغبة في النوم ..

وعند وصولي إلى غرفتي ألقيت بجسدي المتعب فوق السرير وأخذت نومًا عميقًا جدًا كنت أحتاج إليه منذ أشهر طويلة.

بعدما صحوت من نومي رأيت جدتي لاتزال معي بالبيت، فقلت لها ..

- جدتي أمازلت بجانبي حتى بالبيت.

- نعم يا ابنتي سأبقى يومين أو ثلاثة أيام حتى أطمئن عليك وأراك بصحة جيدة، وبعدها سأذهب لبيتي

- ولماذا لا تبقين معي هنا بصفة دائمة خصوصًا إنك هناك وحيدة وتحتاجين إلى من يكون معك ..

- لا يا ابنتي هذا صعب بالنسبة لي لأنني لا أنام ولا أرتاح إلا في بيتي ولكن سوف أحتمل هذه الأيام من أجلك يا حبيبتي.

- بما أنك لا تشعرين بالراحة هنا لماذا لا نذهب هناك إلى بيت جدي وأبقى معك لمدة أسبوع وبعدها أعود هنا.

- لقد قلت ذلك لزوجك لكنه رفض هذه الفكرة وقال هنا أفضل لكما لأنني سأكون قريبًا منكما وأستطيع أن أقوم بأي شيء تحتاجان إليه.

- وما الجديد في ذلك إنه لا يهتم براحة أحد غيره، المهم عنده رأيه هو وما يراه مناسبًا له .

- قد يكون معه الحق في ذلك يا وفاء

- ما هو ذلك الحق ؟

- سيكون هنا قريبًا منا ويراعي شئوننا وما نحتاج إليه

- ليس هذا المهم عنده يا جدتي

- ماذا تعنين يا وفاء ؟

- إنه مجرد نفوذ وسيطرة فقط ، إنه يريد أن يقول لا .. ويريد أن يرى خضوع الآخرين له

- لا تجعلي الخلافات التي بينك و بينه سببًا في أنك تتصورين بأنه سيء في كل شيء.

- أنا لا أتصور ذلك لكنها هي الحقيقة.

أنا لا أعرف كيف كان جدي يعمل معه تلك السنين الماضية ويتحمل تصرفاته غير الطبيعية أبدًا.

- غدًا عندما يأتي طفلكما المنتظر سوف تتبدل جميع الأحوال وتصبحين أسعد زوجة في القرية كلها.

- لا أعتقد ذلك يا جدتي.

****

مرت الأيام وقررت جـدتي أن تعـود إلى بيتهـا لأنهـا الآن تراني بصحة جيدة.

وفي غياب جدتي وبعدها عـني أحسست بفراغ و وحدة لا أحتملها ، لقد كنت سعيدة بوجودها معــي وأجـد أيضًـا من يتحدث معـي.

في يوم من الأيام جاء أبـو أحمـد وجلـس أمـامي و أشـعل سيجارته وأخذ يحدق بالنظر إليّ وكأن هناك شــيئًا يريـد أن يقوله لي فقلت له: ..

- ما الذي يشغل بالك ويجعلك تنظر إليّ هكذا ..

- هناك كلام مهم يجب أن أقوله لكِ.

- تفضل أسمعني ما عندك

- في غيابي وأنا في المستشفى ما الذي حـدث بينـكِ وبـين زوجتي؟

- أبـدًا لقد ذهبت إليها حسب ما أمرتني به.

- أنا أمرتك أن تأخذي منها ما تحتاجين إليه فقط.

- وهذا ما حدث بالفعل ولكنها لم تعطني شـيئًا.

- أنت تكذبين.

- لو سمحت لا تقل هذا عني.

- أقولها لك للمرة الثانية بأنك تكذبين.

- وما الذي يجعلني أكذب عليك، وهل لديك حقيقة أخرى غير التي أعرفها.

- نعم إن الحقيقة التي أنا أعرفها غير ما تقولين.

- وما هي تلك الحقيقة التي أنت تعرفها؟

- لقد تجاوزت حدود الأدب مع زوجتي وتحدثت معها بكلام غير لائق أبدًا.

- ومن يقول هذا الكلام؟

- المهم بأنني عرفت ذلك.

- إنها هي التي قالت لك هذا الكلام وهذا الشيء لا يحتاج إلى تفكير.

- المهم بأنك أسأتِ الأدب معها.

- إنها هي التي تكذب عليك، وتريد أن تتخلص مني بسبب غيرتها عليك.

- اسمعي يا وفاء أنا لم أعد أحتمل منك هذه الأفكار المسمومة التي تحاولين أن تبثيها في عقول النساء ومنهن زوجتي.

- وما هي تلك السموم التي أحاول بثها؟

- تتحدثين عن المرأة وحرية المرأة وحقوق المرأة، وما هي حقوق المرأة التي ترينها من وجهة نظرك، بأن تحرضي النساء بالتمرد على أزواجهن وعلى عاداتنا وتقاليدنا التي نعرفها.

- وما هي تلك العادات والتقاليد التي أتمرد عليها أجبني

- أنت تحاولين المراوغة معي في الكلام، لكن هذه هي المرة الأخيرة التي أسمح لك بهذه التجاوزات التي تفعلينها، ليس من أجلك أنت ولكن من أجل طفلي الذي تحملينه بين أحشائك.

- هذا فقط الذي يهمك مني، ألست زوجة لك وأحتاج لبعض الاحترام منك ولي عندك بعض الحقوق التي لا

تعترف بها أبـدًا ، أم هي عادات وتقاليـد أيضًـا لا يحـق لي الحديث عنها .

- أنت امرأة سليطة اللسـان وهـذا بسـبب التعلـيم الذي حصلت عليه من المدارس لو كنت أكملت تعليمك ماذا ستفعلين بنا، أي تعليم هذا الذي يجعل المرأة تعلو بصوتها على زوجهـا، سـامح الله الذي أتى بهـذه المـدارس في هـذه القرية هنا لقد أفسـدت أخـلاق النسـاء وأفسـدت هـذا المجتمع.

- وهل ترى بأن التعليم مفسدة للنساء، ولماذا تتزوج مـن امرأة متعلمة مثلي، الذي مثلك حدوده زوجة جاهلة مثل زوجتك.

رفع يده وصفعني على وجهي وقال لي غاضبًا: ..

- هذه هي المرة الأخيرة التي أسمح لك بهـذا الـكلام أيتهـا المرأة اللئيمة ولكن كما قلـت لـك سـأتجاوز عـن هـذا الخطأ من أجل طفلي ولكن لو تكرر منك مـرة أخـرى سأنهيك للأبد.

خرج من البيت غاضبًا، لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني قوية ولم يعد عندي رغبة في البكاء، قررت أن أترك هذا البيت اللعين وأذهب لبيت جدي .

خرجت من البيت مسرعة قبل أن يعود ويراني، وأخذت أسير بخطوات سريعة جدًا وقبل أن أعبر الطريق سمعت صوته يصرخ من خلفي... وفاء قفي يا وفاء ... وهو يقترب مني وأردت الهروب منه بسرعة ولم أشعر بنفسي إلا وأنا بوجه سيارة كانت تعبر الطريق فاصطدمت بها ولا أعلم ماذا حدث لي بعد ذلك .

.....

عندما صحوت من هذه الصدمة وجدت نفسي في المستشفى وإحدى الممرضات تقف بجانبي وهي تضع الحقنة بيدي، فقلت لها : ...

- من أنت ؟ ..

- أنا الممرضة المسؤولة عنك هنا في هذه الغرفة .

- وكيف جئت إلى هنا ؟

- إنه حادث حصل معك.

- أخبريني عن هذا الحادث بالتفصيل ؟

- عندما يأتي الدكتور سيجيبك عما تريدين.

****

في اليوم التالي جاء الدكتور وهـو يقـول لي: الحمـدلله على سلامتك أرى الآن بأنك في تحسن مستمر.

- أرجوك يا دكتور أخبرني عمّا حدث لي؟

- أخبريني أنت ماذا تذكرين قبل مجيئك إلى المستشفى ؟

- أتذكر بأنني اصطدمت بسيارة كانت تعبر الطريق وبعد هذا لا أتذكر شـيئًا .

- وفاء ... الحمدلله والشكر لله على سلامتك لقـد بقيـت هنا في المستشفى مدة شـهر كامـل داخـل العنايـة المركـزة وأنت في غيبوبة تامـة وقـد كانـت حالتـك سـيئة جـدًا، صـحيح أنـك قـد فقـدت الجنـين ولكـن الحمـدلله ستعوضين هذا في المستقبل القريب بإذن الله

- هل فقدت الجنين يا دكتور ؟

وأخذت أبكي وأقول... لعله عقاب من ربي فقد كنت لا أريـد هذا الجنين لأنـه ابـن أبي أحمـد، ولا أريـد شـيئًا يربطني بذلك الرجل الشرير

- اهدئي يا وفاء فأنت الآن بخـــير والحمدلله

- وأين جدتي لا يمكن أن تتركني في هذه الحالة التي أنا فيها، يفترض أن أراها بجانبي...

- جدتك يرحمها الله مسكينة تلك العجوز لم تستطع أن تتحمل خبر الحادث وأتت إلينا هنا في المستشفى وعندما رأت حالتك السيئة التي كنت بها أثناء وجودك بالعناية المركزة حدث لها هبوط حاد وبقيت في المستشفى لمدة يوم واحد ثم رحلت في هدوء.

صرخت بأعلى صوتي .... لا لا... جدتي، لقد تركتني هنا في هذه الحياة وحدي... لا لا .. أريد الموت، دعوني أمتْ، لا أريد أن أبقى وحدي.

حاول الدكتور أن يهدئ من حالتي ولكن لا فائدة من ذلك فقال للممرضة :..

-أحضري لها حقنة المهدئ كي تنام وترتاح قليلاً.

وبقيت هكذا لفترة طويلة وأنا أعيش على هذه الحقن المنومة حتى قال لي الدكتور يومًا:..

- لا يمكن ذلك يا وفاء أن تبقي على هذه الحالة السيئة، إننا سنموت كلنا والموت سنة الحياة، لن أستطيع أن أستمر معك بإعطائك هذه الحقن التي ليس من مصلحتك الاستمرار عليها أكثر من ذلك.

- أريد الموت يا دكتور، أريد الموت لا أريد هذه الحياة لا أريدها.

- لاحول ولا قوة إلا بالله لماذا كل هذا يا وفاء؟... الحياة تستمر ولن تتوقف على ناس محددين .

الدكتور يقول للممرضة: أحضري لها حقنة المهدئ ... لا حل أمامي غير ذلك

ومضت الأيام وأنا أشعر بحزن شديد على رحيل جدتي التي لا أصدق بأنها قد ماتت بالفعل وتركتني، وكيف سأعيش من غيرها وهي الوحيدة التي كانت باقية لي في هذه الحياة ، والآن ليس لي أحد من بعدها أبدًا .

وجود الدكتور بجانبي وحديثه المتواصل معي أخذ يخفف عني بعض الصدمة التي تلقيتها عندما سمعت بخبر

رحـيل جدتي، ولكـن شعرت أيضًا بحزن آخر على فقـدان جنيني الذي لو بقي معـي قد يكـون عوضًـا لي مـن بعـد رحـيل جدي وجدتي عن هذه الحيـاة، ولكـن هـذه إرادة الله التي أرادها لي، والشيء الذي لا أصـدقه أيـن هـو أبـو أحمد ؟

ولماذا لم أرهُ هنا بجانبي ؟

إنه زوجي ويفترض بأنه يسأل عـني ويزورني بالمستشفى.. غـــدًا سوف أسأل الدكتور عنه لعله يفيدني بشـيء عـن ذلك.

في اليوم التالي جاء الدكتور مبتسمًا وهو يقول لي : ..

- صباح الخير يا وفاء .

- صباح الخير يا دكتور.

- أرى اليوم بأنك أفضل كثيرًا عن الأمس.

- الحمدلله يا دكتور هذا بفضل الله ثـم بفضـل جهـودك معـي .

- إنه واجبي الذي يجب أن أقوم به.

- أشكرك على هذا الإخلاص في العمل يا دكتور.

- لا تشكريني على واجبي.

- ممكن سؤال لو سمحت لي؟

- تفضلي فأنا هنا في خدمتك.

- أين زوجي أبو أحمد إنني لا أراه يأتي لزيارتي؟

- لقد أتى هنا مرة واحدة فقط عندما كنت في العناية المركزة وأنهى جميع الأوراق الخاصة بالمستشفى والأوراق التي تتعلق بالحادث من أجل الحصول على التعويض الذي يجب أن يدفعه صاحب السيارة المتسبب في الحادث.

- وهل صاحب السيارة قام بدفع التعويض؟

- نعم هذا الأمر تقرره الشرطة وليس لي علاقة بذلك

- وأين مبلغ التعويض هذا ؟

- لقد تم استلامه من قبل زوجك لأنك كنت في حالة غيبوبة تامة وهو أقرب شخص لك.

- لكنني لم أره أبدًا يا دكتور ، فهو لم يزرني هنا في المستشفى.

- لن أستطيع الإجابة على هذا السؤال لأنني لا أعلم عنه شيئًا.

- أشكرك يا دكتور.

- أستأذن منك الآن لأن لدي عدة مرضى آخرين يجب أن أراهم.

- تفضل .. الله معك

يا إلهي ما هذا الرجل ؟ وما القلب الذي يحمله بداخله ؟ مستحيل أن يكون إنسانًا، إنه ليس بحاجة لهذا المبلغ من أجل أن يستولي عليه ، وأنا ألم يفكر بي وبأنني زوجته وأحتاج إليه بجانبي في هذه الحالة الصعبة التي أمر بها .

****

في يوم جاء الدكتور وقال لي :..

- الآن يمكنك الخروج من المستشفى يا وفاء فأنت الآن بصحة جيدة.

- أشكرك يا دكتور ومتى يمكنني مغادرة المستشفى ؟

- متى تشائين لو أردت الآن لا مانع عندي.

- وهو كذلك سأغادر الآن أفضل.

- الحمدلله على سلامتك.

- مع السلامة يا دكتور، أشكرك.

غادرت المستشفى وأنا أشعر بأن الحياة تغيرت من حولي.

هل يمكن بسبب المدة الطويلة التي أمضيتها وأنا في المستشفى؟

أم بسبب رحيل جدتي؟

وأشعر بأنني الآن أصبحت وحيدة وليس هناك أحد بجانبي، قررت الذهاب إلى بيتي لألتقي مع أبي أحمد وأعرف منه تفاصيل مبلغ التعويض الذي علمت عنه من الدكتور.

ركبت إحدى سيارات الأجرة التي كانت بجانب المستشفى وطلبت منه أن يتجه بي نحو بيت أبي أحمد .

طرقت باب البيت وعندما فتح الباب وجدت أبا أحمد أمامي فقلت له :..

- مساء الخير

- أهلاً أهلاً يا وفاء تفضلي

- دخلت البيت وأنا أشعر بأنه مرتبك عندما رآني ولم يصدق أنني خرجت من المستشفى .

- كيفك يا أبا أحمد ؟

- الحمدلله تمام الحمدلله على سلامتك

- لقد جعلتني أقلق عليك.

- ولماذا القلق ؟

- لأنني لم أرك تزورني وأنا في المستشفى فقلت يمكن حدث لك مكروه لا سمح الله.

- إنها الظروف يا وفاء لقد انشغلت ببعض الأعمال

- ألست أنا أيضًا جزءًا من تلك الظروف

- صحيح ... ولكن الحمدلله أنت بخـــير الآن.

- وهل تعلم أنني فقدت جنيني في الحادث؟

- إنها إرادة الله .

- سألت مسؤولي المستشفى عن مبلغ التعويض عن الحادث فقالوا لي بأنك قد استلمت المبلغ.

- إنه مبلغ بسيط جدًا وقد تصدقت به عنك للفقراء عندما كنت في المستشفى..

ثم رأيت باب غرفة نومي وقد فتح وخرجت منه زوجته ويبدو عليها بوادر الحمل وهي تقول : أبا أحمد من الذي تتحدث معه ؟

- ما هذا الذي أراه ماذا كانت تفعل زوجتك في غرفة نومي ومن الذي سمح لها بذلك ؟

أخذ ينظر للساعة التي في يده ولم يجب بأي شيء ثم أتت زوجته وهي تقول : ..

- مَنْ ....وفاء ؟ ... سبحان الله ألاتزالين على قيد الحياة أخبرنا الدكتور بأنك ستموتين ولا أمل لك في الحياة

- أعتقد أن هذا ما تتمنينه لي من أجل الخلاص مني

- لا أعتقد أنني سأخلص منك فأنت لا تموتين أبـدًا

- إن شاء الله أنت ومن يكرهني

- لا أستطيع الكلام معك فأنا متعبة جـدًا من هذا الحمل ويقول لي الدكتور بأنه ولد بإذن الله.

- ومن الذي سمح لك بدخول غرفة نومي في غيابي ؟

- ومن أنت ؟ ومن تكـونين ؟ مـن أجـل أن آخـذ الإذن منك؟ كل شيء هنا ملك لأبي أحمد حـبيبي يعني ملك لي أنا أيضًا.

- لن أستطيع التحـدث مـع امـرأة جاهلـة مثلـك كلامي سيكون مع أبي أحمد.

- أنا جاهلة أيتها المتشردة أما كفاك ما فعلتِهِ معـي سابقًا عندما تهجمت علي في بيتي وتريدين الهجـوم عـليّ أيضًـا أمام زوجي.

وأخذت تتظاهر بالتعب : "آه آه الحقني يـابو أحمـد أشـعر بـأنني سـأفقد جنيـني" الطبيـب يقـول لي "ابتعـدي عـن المشاكل والتوتر" وهذه المرأة تحاول أن تتخلص مني

أبو أحمد يحاول أن يجلسها على أحد المقاعد ويقول لها : ..

- اهدئي يا فاطمة ، اهدئي.

وأخذ ينظر لي بغضب و قال:....

- ما هذا الذي تفعلينه أيتها المجنونة أتريـدين أن تقـتلي جنينها ؟

- إنها كاذبة لا تصدقها تحاول أن تختلق أي شيء من أجل أن تثير غضبك.

- قولي لي ماذا تريدين؟

- أريـد المبلغ الذي أخذته من المستشفى بغير وجه حق

- هل هذا اتهام لي أم ماذا ؟

- مسؤولو المستشفى الذين يقولون هذا وليس أنا

ثم أجبني ... ماذا تفعل هذه المرأة في غرفة نومي ؟

زوجته تصرخ بغنج : " آه آه بطني يا أبو أحمد"

- وفاء... اخرجي الآن من بيتي لقد أتعبت هذه المسكينة

- إنها ليست مسكينة إنها امرأة لئيمة وبإذن الله لن تفرح بهذا المولود وسيعاقبها الله على كل كذبها هذا.

أبو أحمد يفقد أعصابه ويصرخ بوجهي:...

- أتدعين على ابني أيضًا وتتمنين له الموت ؟

وأخذ ينهال عليّ ضربًا وأنا أرى زوجته سعيدة بذلك وهي تبتسم وتضحك .... فقال: اخرجي من بيتي فأنت طالق طالق طالق.

.....

خرجتُ من بيته وأنا أشعر بالذل والانكسار وأحمل جراحي مع بعض كدمات على وجهي وأجزاء من جسدي من بعد الضربات التي تلقيتها منه.

هموم أحملها بقلبي ودموع تملأ عيني لا أعرف أين أرحل ومن أين أبدأ طريقي، لكنني اهتديت أخيرًا أن أذهب إلى المستشفى التي كنت بها كي أداوي جراحي

واطمئن على سلامة بقية جسدي من الإصابات والكسور.

عند دخولي المستشفى التقيت صدفة بـالدكتور الذي كان يشرف على حالتي قبل ذلك.

عندما رآني صرخ مفزوعًا ..

- وفاء ما هذا .. ما الذي أصابك، ماذا حدث ؟

لم أستطع الإجابة على أسئلته بأي كلمـة أو حـرف لأنـني كنت أختنق من نفسي ومن كل شيء حولي .

وأخذ يردد نفس السؤال ويلح عليّ بالإجابة

نظرت إليه ودموعي تسبقني للحديث إليه

- ساعدني يا دكتور أنا متعبة جدًا .

- سأفعل لك اللازم وكل مـا تريـدين ولكـن قبـل ذلـك لا بد مـن إثبـات الحالـة الـتي أنـت عليهـا الآن أرجـوك أخبريني، ويجب أن تقولي كل شيء كي أستطيع مساعدتك

- زوجي يا دكتور هو من فعل بي هذا.

- كيف ؟ أخبريني ..

- ذهبت إليه وكنت أعتقد بأنني سألتقي بإنسان قد تغير في كل شيء من ناحيتي خصوصاً من بعد رحيل جدتي ، وخروجي من المستشفى من بعد الحادث لكنني رأيته أسوأ مما كان سابقًا، ولديه رغبة بالخلاص مني وطردني خارج بيته بعد أن تلقيت منه عدة ضربات كما ترى آثارها على وجهي وبقية جسدي .

- اهدئي سوف أقوم بإجراء اللازم حول هذا الموضوع .

سمعت صوته وهو يتحدث في التليفون وكأنه يخبر الشرطة عن هذه الواقعة .

بعد قليل أتى ضابط الشرطة ومعه اثنان من المرافقين . وبدأ يحقق معي ويسألني وأنا أجيبه عن كل سؤال يسأله وفي النهاية سألني عن عنوان منزل أبي أحمد لاستدعائه ، وطلب من الدكتور أن يعطيني العلاج اللازم ، وإثبات ذلك في محضر طبي لمواجهة الزوج بكل الاتهامات الموجهة إليه .

وبعد أن تلقيت العلاجات اللازمة تم نقلي إلى مخفر الشرطة وهناك تواجهت مع أبي أحمد .

ومضى على هذا التحقيق ساعتان، وأمر ضابط الشرطة بحبس أبي أحمد على ذمة القضية إلى أن تتم محاكمته حول ما نسب إليه من عدة اتهامات تم إثباتها في المحضر الطبي من قبل المختصين في المستشفى .

من بينها الكدمات التي كانت واضحة على وجهي من آثار الضرب وكسر في إصبع الإبهام .

طلب مني ضابط الشرطة توقيع محضر التحقيق والحضور عند الاستدعاء لإتمام بقية القضية.

****

ذهبت إلى بيت جدي وأنا أشعر بوحشة المكان وقد خيم عليه الهدوء والصمت القاتل من حولي حتى لا أكاد أسمع غير صوت خطوات أقدامي وأنا أتجول بين غرفه الفارغة ، وأشعر بأنني في حاجة ماسة جدًا للحديث مع جدي و بحاجة إلى أن يكون بجانبي خصوصًا أنني أنتظر قضية سوف تكون حاسمة بيني و بين أبي أحمد في الأيام القادمة ، ولا أدري....

كيف ستكون نهايتها؟؟

وكيف ستكون حياتي من بعد هذه القضية؟؟

****

تمت بحمد اللّه

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر